تطريز

فضيلة الشيخ صالح بن عبد الله بن حمد العُصيمي

حفظه الله تعالى

علىٰ

تفريجُ الكرب عن قلوب أهل الأَرب

في معرفةِ لاميّة العرب

للعلَّامة ابن زاكور

المتوفىٰ سنة ١١٤٠، رَحِمَهُ اللَّهُ

النُّسخة الإلكترونيَّة (الأولىٰ)

الشيخ لم يراجع التفريغ

http://attafreegh.com/

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

الحمد لله ربنا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد، فهذا هو **الدرس الثالث والعشرون** من برنامج **الدرس الواحد التاسع**، والكتاب المقروء فيه هو «**تفريج الكرب**»، للعلامة ابن زاكور الفاسي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ.

وقبل الشروع في إقرائه لابد من ذكر مقدمتين اثنتين.

المقدِّمة الأولىٰ: التعريف بالمصنِّف؛ وتنتظم في ثلاثة مقاصد:

المقصد الأول: جَرُّ نسبه؛ هو الشيخ اللغوي العلامة محمد بن قاسم بن محمدٍ الفاسِيُّ المالكي، يُكْنىٰ بأبي عبد الله، ويعرف بابن زاكُور نسبةً إلىٰ أحد أجداده.

المقصد الثاني: تاريخ مولده؛ ولد سنة خمسٍ وسبعين بعد الألف (١٠٧٥).

المقصد الثالث: تاريخ وفاته؛ توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة عشرين بعد المائة والألف (١١٢٠)، وله من العمر خمسٌ وأربعون سنةً رَحِمَهُ اللَّهُ رحمةً واسعةً.

المقدمة الثانية: التعريف بالمصنَّف، وتنتظم في ثلاثة مقاصد.

المقصد الأول: تحقيق عنوانه؛ صرَّح المصنف باسم كتابه فقال: فسميته «**تفريج الكُرَبِ عن قلوبِ أهل الأرَبِ في معرفة لاميَّة العرَب**».

المقصد الثاني: بيان موضوعه؛ عمد المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ إلىٰ قصيدةٍ شهيرةٍ سيارة، هي لامية العرب للشنفرىٰ، فشرحها في هذا الكتاب.

المقصد الثالث: توضيح منهجه؛ قسم المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ شرحه بإتباع كل بيتٍ أو بيتين متناسبين بما يوضِّح معناهما، وقد جرىٰ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ علىٰ تقديم توضيح المفردات، ثم إبانةُ المعاني المقصودة في الأبيات، ولم يكثر رَحِمَهُ اللَّهُ من ذكر الشواهد المواطئة لما يذكره من معاني أبيات القصيدة.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل معرفة كلام العرب من أقوىٰ دواعي الطَّرَب، من أجل أنه أحل من الضَّرَب[١]، علىٰ الناس في ذوقه متفاوتو الرُّتَبِ، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد أفصحِ العَربِ قاطبةً[٢]،فإنه بلغ مشارق البيان ومغاربه، واسترق سارِيَهُ وسَارَ به، فلو اجتمعت الإنس والجن علىٰ أن يأتوا بمثل فصاحتهم ما استطاعوا ولو ظاهر صاحبٌ منهم صاحِبَه[٣]، وكانت نسبة كلامهم من كلامه عليه صلاة الله وعلىٰ آله وأزكىٰ سلامه، وإن قادوا البيان بِخُطَامِه، وأفْرَغُوا السِّحرَ في قالب نثره ونِظَامِهِ، نسبة التُّرْبِ مِنَ التِّبْرِ، والخَشَبِ مِنَ الذَّهَبِ[٤]، ومع هذا فإن معرفة كلامهم، وسيلةٌ إلىٰ معرفةِ كلامِهِ، وما أنزل عليه وسبب، فكانت لذلك من أعظم الوسائل وأجل القرب[٥].

---

(١) قوله رَحِمَهُ اللهُ: (**من أجل أنه أحلىٰ من الضَرَب**)، **الضَّرَبُ محرَّكًا هو العسل الأبيض**، وهذا مثلٌ تضربه العرب فتقول (أحلىٰ من الضَّرَب) أي أحلىٰ من العسل الأبيض، وهو من أمتع أنواع العسل مذاقًا، وأجودِها لَذةً.

(٢) قولُه: (**علىٰ سيدنا محمد أفصح العرب قاطبة**)، روي في ذلك حديثٌ مشهورٌ يذكره المصنفون بالقراءات والعربية وهو «**أنا أفصح من نطق بالضّاد**»، إلا أن هذا الحديث لا أصل له، كما ذكره ابن كثيرٍ رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ، إلا أن هذه الفضِيلة مقطوعُ بها، وإن لم يصحَّ فيها شيءُ معين، فإن أفصح العربِ هم قريش، قبيلُ النبيِّ ﷺ، وهو ﷺ قد أوتيَ جوامعَ الكلم كما ثبَت في الصحيح، وذلك الإيتاء يقتضِي أن يكون بالمحلِّ الأعلىٰ من الفصاحة، فإن جمع المعاني في قليل المباني لا يكون إلا لمن بلغ الغاية فيها.

(٣) قوله: (**ولو ظاهر**) أي ناصر وزنًا ومعنىٰ، **فالظهير: النصير**.

(٤) قوله: (**نسبة التُربِ من التِّبْر**) **التِّبر اسم للذهب قبل أن يسبك**، فإذا سبك سُمِّي ذهبًا، لأنه قبل السبك يكون مخلوطًا بغيره، فإذا صُفِّيَ وسُبِكَ سمي ذهبًا.

(٥) قوله رَحِمَهُ اللهُ: (**فكانت لذلك**) أي معرفة كلام العرب (**من أعظم الوسائل**) أي ما يتوسل به إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في طلب مرضاته، (**وأجل القُرَب**) أي العبادات التي يتقرب بها من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والأمر كما ذكر رَحِمَهُ اللهُ، فإن القرآن عربيٌّ والسنة عربيَّة؛ بل الشريعة كلّها عربية كما قرَّره الشاطِبيُّ في «الموافقات»، ولا سبيل إلىٰ معرفتها إلا فهمها إلا بمعرفة كلام العرب، وإذا لم يكن للمرء يدٌ في معرفة كلام العرَبِ، واطلاعٌ علىٰ مقاصدِ القولِ وسُننِهِ عندهم؛ لم يتهيأ له فهم ما فيهما من المعاني، واستيضاح ما فيهما من المقاصد، وقد أطنبَ أهل العلم رحمهم الله تعالىٰ في تحقيق المطالبة بهذا في حق المجتهدين، فإنهم يذكرون في شروط المجتهد أن يكون عارفًا بلسان العرب، إلَّا أنهم اختلفوا في القدر الذي ينبغي له أن يُحصِّله حتىٰ يُسلَّم له بالاجتهاد، وبالغ الشاطبي رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ في «الموافقات» حتىٰ أنهىٰ رتبة من يصحُّ له الاجتهاد أن يكون بمنزلة الخليل وسيبويه، ولا ريب أن الوصول إلىٰ ذلك ليس لكل أحد، ولا يُحتاج في فهم أحكام الشريعة إلىٰ =

فلذلك شَرَحتُ لاميَّة العربِ، وأجلستُها علىٰ البيان من مُرْتَقَب، وكشفت عن وجهها الذي طالما قد انْتَقَب، مقتصرًا في إبداء معناها الذي قد احتجَب، علىٰ ما قد تعيَّن من القول ووجَب، فجاء شرحًا كثير العَجَب، ناقِعًا لغَلَلِ أهلِ الأَدَب[1]، فسمَّيتُه «**تَفْرِيجُ الكُرِب عن قلوبِ أهلِ الأَرَبِ في معرفة لاميَّة العَرَبِ**»، فرَّجَ الله تعالىٰ كُروبَنا وغَفَر ذُنُوبَنَا، وَجَبَرَ بِمعْرِفَتِهِ قُلُوبَنَا. آمين

قال الشَّنْفَرَىٰ عَمْرو بن بَرَّاكِ الأَزْدِي:[2]

(أَقِيمُـوا بَنِـي أُمِّـي صُـدُورَ مَطِـيِّكُمْ فَـإِنِّي إِلَـىٰ قَـوْمٍ سِـوَاكُم لأَمِيـلُ)

المُطي كالمَطايا جمع مَطِيَّةٍ: وهي الدَّابة تَمْطُو في سيرِها أي تَجِدُّ وتُسْرِعُ، وإِقَامَةُ صُدُورِ المَطِيِّ: إعمالُها في السَّير، والتوجُّه بها إلىٰ وجِهَةٍ، وقد يُقصَد به الجِدُّ في الأمرِ، والانتباه من الغَفْلَةِ، فيكون تمثيلًا

=

مرتبة الخليل وسيبويه في إدراك معاني كلام العرب والإحاطة بقواعدهم وسُننهم فيه؛ لكنّ الذي يستطيع المجتهد أن يستعين به في فهم كلام العرب هو ما يُحتاج إليه من مهمّاته، فالذي يُحتاج إليه من مهماته هو الذي ينبغي أن يُعتنىٰ به.

ولهذا قال جماعة لما ذكروا آلة الاجتهاد ومنهم الجويني في «الورقات» قال: (عارفا بما يُحتاج إليه)، فالقدر الذي ينبغي هو ما يُحتاج إليه في فهم الشريعة، وما زاد عن ذلك فإنّ المجتهدَ غير مطالبٍ به، والعربية بحرٌ لا ساحلَ له.

وقد نقل الشافعيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ وابن خزيمة وابن فارس أن الإحاطة بكلام العرب لا تتأتىٰ لأحد إلا لنبيٍّ، ذلك أن كلام العرب كثير وقبائلهم متفرِّقة ومسالكُهم مختلفة، فالإحاطة بذلك متعذّرة،.

وأقل ما ينبغي أن يأخذ طالب العلم أن يقرأ المختصرات التي اعتنىٰ أهل العلم رحمهم الله تعالىٰ فيما سلف بأخذها واستشراحها وحفظِها، ومن جملتها عندهم -وهي أكثرها رواجًا- «**كفاية المتحفظ ونهاية المتلفِّظ**» لابن الأجدابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ، فإن هذا الكتاب طبَّق الخافِقَين في وسط عُمر الأمة ومتأخِّرها، وكان قبله «**الفصيح**» لثعلب أشهر، إلا أن كتاب ابن الأَجْدَابِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ صار بأخَرَه هو أشهر الكتب المؤلفة في مفردات اللغة، فهذا الكتاب هو أقل ما ينبغي لطالب العلم أن يحفَظه وأن يتفهَّم معانيه، فإذا أراد الزيادة علىٰ ذلك فليأخذ «**موطأة الفصيح**» لابن المُرَحَّل رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ، وعلىٰ هذين المتنين شرحان عظيمان لابن الطيّب المغربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ، فإنه شرح «**الكفاية**» باسم «**تحرير الكفاية**» وهو مطبوع في مجلد، وشرح «**موطأة الفصيح**» في كتابٍ سماه «**الموطئة في شرح موطأة الفصيح**» وهو كتاب حافلٌ جدًّا لم يطبع بعد، وحقِّق الجزء الأول منه في جامعة الأزهر، ولم يُستكمَل تحقيقه وهذا قبل مدة مديدة.

والمقصود أن هذين الكتابين من أنفع الكتب التي ينبغي أن يعتني طالب العلم بهما إن أراد أن يُدرك مهمَّات علم العربية.

(١) قوله: (**ناقعًا لغَلَل أهل الأدب**) أي: مُرويًا لعطش أهل الأدب، **فالغلَلَ: العطش**.

(٢) قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ (قال الشَّنْفَرَىٰ عَمرو بن بَرَّاكِ الأَزْدِي) المعروف في جرِّ نسبه أنه عمرو بن مالك الأزْدِي، فهذا هو الذي ذكره الأقدمون ممن روىٰ شعره وذكر أخبارَه.

علىٰ سبيل الاستعارَة، وهذا هو المراد هنا كما قِيل، وهو الظاهر، وأصلُه في الرَّاكِبِ يَنَامُ عَلَىٰ راحِلَتِه فتنحَرِفُ به عن القَصْدِ فيقال له: أقِم صَدْرَ مطِيَّتِكَ، أي انتبه من نومِك. والميل إلىٰ الشيء: الانحراف إليه بالقلب، والأميلُ: الأشد ميلا، و(بَنو أمِّه)، قيل: هم فَهْم وعدوان، و(القوم سواهم) رهطُه من الأَزْدِ، وكان نازلًا في بني أمِّه، فَعُيِّر؛ فرَحَل إلىٰ قومِهِ، وهذا التَّعيير سيقولُه في القصيدة.

والمعنىٰ: جُدُّوا يا بني أمِّي في أمْرِكُم فإنَّكم غارُون، وانتبهوا فإنكم نائمون عن شأني الذي هو غير شأنكُم، وبمراحل عمَّا تتوهمونه من ميلي إليكُم لكوني نازلًا فيكمُ، فإنَّني أشدُّ ميلًا إلىٰ قومٍ غَيرِكُم، أي ميلي إليهم أكثر من ميلي إليكُم وإن كُنت بعيدًا مِنهُم، وهَوَايَ معهُم وإن لَم أكن فيهِم، وهذا إنذارٌ لبني أمِّهِ برُحلتِهِ عنهُم. [١]

فقال:

(فَقَدْ حُمَّتِ الحَاجَاتُ واللَّيلُ مُقْمِرٌ وَشُدَّتْ لطِيَّاتٍ مَطَايَا وَأَرْحُلُ)

حُمَّ الأمر-بالبناء لما لم يسم فاعله-قُدِّرَ[٢].

ومعنىٰ (الليل مُقمِر): أي ذو قمرٍ، وقد يُقصَد منه: الأمر واضح، وهو تمثيلٌ علىٰ سبيل الاستعارة، ولا تبعد إرادته هنا، ومنه قول الشاعر:

وخالدٌ قال لي قولًا مَتَعْتُ بِهِ[٣] لو كنت اعلم أنّىٰ يَطْلُعُ القَمَرُ

والطِّيَّاتُ كالنيَّات لفظًا ومعنىٰ، وواحدها طِيَّة كنيَّة، وهو ما ينويه المسافر من وجه، وواحد الأَرْحُلِ رَحْل: وهو مركب للبعير كالرَّاحُولِ. وشَدُّ الرَّحْلِ: إيثاقُه. وشَدُّ المَطَايا: بمعنىٰ شدِّ رحلِها وأدواتِها.

والمعنىٰ: فقد قُدِّرتِ الحاجات الداعيةُ إلىٰ ارتحالِي عنكم، والحالة أن الزمان مساعد علىٰ ذلك،

---

(١) ذكر الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ ما اتفق لحال الشَّنْفَرَىٰ عند إنشاء هذه الرسالة، فإنه كان نازلًا مع أمِّه في قومها، وقومُها قيل هم فهم وعَدْوان، مُفارِقًا لقومه الذين يرجع نسبه إليهم وهم رهطه من الأزد، فعيِّر من قبل بعض قوم أمِّه، فأنشأ هذه القصيدة في الإعلانِ بمفارقتهم، والصَّدح بميله إلىٰ قومه، وأنَّ إقامته بين أظهر أخواله ليست ركونًا إليهم وزهدًا في أصل هَرومَتِه ونسبه.

(٢) قولُه: (**بالبناء لما لم يسم فاعله**) المراد به نائب الفاعل، والفعل يبنىٰ له، وكان الأقدمون يسمون هذا الباب في النحو (باب ما لم يسم فاعله)، حتىٰ جاء ابن مالكٍ فسماه (نائبَ الفاعل) فاشتُهر هذا الباب عندهم بذلك، ويكون الفعل حينئذٍ مبنيًّا للمفعول، وقولنا: مبنيًا للمفعول أعم من قولهم: مبنيًّا للمجهول، لأن سبب حذف الفاعل لا يطَّرِدُ أن يكون الجهل به؛ بل لذلك أسباب عدة، فتسميته بالمبني للمفعول أعم وأوسع؛ فهي أولىٰ وأحرىٰ.

(٣) (**متعت به**) أي: ارتفعت.

وهو الليل المقمر، فإن السير فيه يسمىٰ سُرىٰ[١]، وعاقبته محمودة عند الصباح، لاسيما إذا كان الليل مقمرا، فإن السُرىٰ في القمر يبلغ الغاية، فتُرفَعُ بحمدِه في الصباح الرَّاية، ولست بأوحدَ في الارتحالِ، فإنَّ النّاس قد تهيؤوا له، وشدوا أَرْحُلَهُم علىٰ مَطَاياهم لقصد جهات مختلفة في طلب الحاجات، فلي فيهم أسوة، فهذه أمورٌ كلٌّ منها يدعو إلىٰ الارتحال، وهي تقدير الحاجات، ومساعدة الزّمان، والائتساء بالإخوان، فاجتماعها يكون ادعىٰ إلىٰ ذلك.

(وَفِي الأَرْضِ مَنْأَىٰ لِلْكَرِيمِ عَنِ الأَذَىٰ وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ القِلَىٰ مُتَحَوَّلُ)

الـ(ـمنأىٰ): المكان الذي ينأىٰ، أي: يبعُد. و(الكريم) هنا: العزيز والسيد الواسع الخَلْقِ. و(القِلَىٰ): البغض. والـ(ـمُتَحَوَّل): الموضع الذي يحصل التحول إليه، وهو المعني بقولي، والأرض واسعة ففيها ما يبعد العزيز عن الإذلال والأذيَّة، وفيها أيضًا ما إذا تحوَّل إليه من خاف وبالَ البغض، وسوء عاقبته؛ سلِم وأَمِن. وهذا معنىٰ قولِ مَعْنِ بن أَوْسِ المُزَنِي:

وفِي النَّاسِ إنْ رَثَّتْ[٢] حِبالُك واصلٌ وفي الأرض عن دار القِلَىٰ مُتَحَوَّل

وأفهمَ قوله: (وفي الأرضِ مَنْأَىٰ. . .) البيت، أي: أن الأرض واسعةٌ غير ضيقة علىٰ الراغب في الاعتزاز، والراهب من القلىٰ[٣]، فأكَّد هذا المفهوم بقوله:

(لَعَمْرُكَ مَا فِي الْأَرْضِ ضِيقٌ علَىٰ امْرِئٍ سَرَىٰ راغِبًا أَوْ رَاهِبًا وَهْوَ يَعْقِلُ)

(لعمرُك): -بالفتح-أي لحياتك، وقيل: لدينك.

يقول: لحياتك قسمي (ما في الأرض) من (ضيق علىٰ امرئٍ سرىٰ)[٤]، أي: سار ليلًا في حالةِ كونه راغبًا في العز مثلًا، أو راهبًا من عُقبىٰ عَدَاوِة، (وهو يعقِلُ) أي يميز ما رغب فيه، وما رهب منه، فحيثما

---

(١) ومنه (عند الصباح يَحمَدُ القومُ السُّرَىٰ)، يعني مسيرهم بالليل، ومنه قولي:

اغتنم سن الشباب يا فتىٰ عند الصباح يحمدُ القومُ السُّرىٰ

(٢) (رثت) أي بليت. ومنه (ثوب رث) أي: بالي.

(٣) ولأجل هذا أُمر بالهجرة إذا ضاقت الأرض علىٰ أهل الهدىٰ، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَآ﴾ [النساء: ٩٧].

(٤) قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ((لعمرك) بالفتح أي لحياتك وقيل: لدينك، يقول: لحياتك قسمي (ما في الأرض) من (ضيق))، وهذا علىٰ مذهب من يرىٰ أن هذه الكلمة تطلق ويراد بها القسم، **والصَّحيح أنها كلمةٌ تطلقها العرب تريد تعظيم الأمر دون إرادة القسم** فتقول: (لعمرك إن الأمر عظيم) والعَمُر هو الحياة.

وجد المرغوب فيه أقام، فتتسع الأرض عليه بالخلَاصِ منه، وهذا معنىٰ ضيق الأرض وسعتها، فمرجعه في الحقيقة إلىٰ انقباض النفوس وانشراحها بحسب إدراكها المُلائم وغيرُهُ كما أفصح به من قال:

لعمــرُك مــا ضــاقتْ بــلادٌ بأهلِهــا ... ولكــنْ أَخْــلَاقُ الرِّجَــالِ تَضِــيقُ(١)

(وَلِــي دُونَكُــم أَهْلُــونَ سِــيدٌ عَمَلَّــسٌ ... وَأَرْقَــطُ زُهْلُــولٌ وَعَرْفَــاءُ جَيْــأَلُ)

الـ(أهلون): جمع أهل، وأهل الرجل: عشيرتُه، وذَوُو قرباه، وهو هنا استعارة لما ذكره من السِّيد -بالكسر- وهو من أسماء الذِّئب، والـ(عمَلَّس) بفتح العين المهملة، والميم واللام المشددة -الخبيث من الذئاب(٢).

والـ(أَرْقَطُ): النَّمِر، سُمِّي بذلك لِرقْطَتِه، وهي سواد مشوب بنُقَطٍ بِيض(٣).

والـ(زُّهلُول) -بزنة عُرْجُون- الأملس، والـ(عرفاء) هنا: الضَّبع، سميت بذلك لأن لها عُرْفًا بضم العين: أي: شعرا في عُنُقِها(٤).

و(جَيْأَل): من أسماء الضَّبع، فهو بدل من عَرْفَاء، وهو علىٰ وزن (فيعل) ومعرفة باللام والألف، قاله في «الصحاح.»))

(١) فسَّر الشارح رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ (ضيق الأرض) بانقباض النفوس، وهذا هو الأصل في إطلاقها، فإن الأرض رحبةٌ واسعةٌ، فإذا ضاقت علىٰ امرئٍ فلضيق نفسه فيها. وقد يجمع بينهما، كما قال الله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ [التوبة:١١٨]، وهذا مبالغةٌ في بيان الشِّدَّة وهذا من أسرار التصريف القرآني، فإن **ضيق الأرض عند العرب يراد به ضيق النَّفْسِ**، وأعيد معناه في سياقٍ آخر، فإن معنىٰ ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ ﴾ لو لم يذكر ما بعدها أي: ضاقت عليهم أنفسهم؛ لأن الأرض واسعة تحتمل نفوسًا كثيرة، لكن يشار بمثل هذا إلىٰ ضيق النفس؛ فأريد بإعادة ما بعدها بقوله: ﴿ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ ﴾ بيان شدّة ما هم فيه من الكرب العظيم، فكأن الأرض ونفوسَهم ضاقت ضيقًا شديدًا عليهم.

(٢) تفسيره (الـ(عَمَلَّس)) الخبيث من الذئاب أحد أقوال أهل العربية، وذهب قومٌ إلىٰ أن **العَمَلَّس من الذئاب هو أقواها وأشدها سيرًا.**

(٣) تفسير (الـ(أَرْقَطُ)) بأنه من الرُّقْطَةِ وهو سواد مشوب بنقط بيض، ذُكر أيضًا عكسه، فيكون أبيضًا شيب بنقطة سُود، لكن الأول هو الأكثر، فاقتصر عليه الشارح.

(٤) قولُه: (**أي: شعرًا في عنقها**) ليس المراد مطلق الشعر؛ بل المراد شعر كثير في عنقها، فالشعر الكثير المرتفع هو الذي يسمىٰ عُرْفًا.

ومعنىٰ البيت: ولي دونكم يا بني أمي أهلون مؤالفون من وحوش القفار والمفاوز، وهم ذئب خبيث، ونمر أملس، وضبع ذات عُرف، والمقصود أنه اعتاد السفر، وتكرر منه قطع المَهَامِه حتىٰ ألفته وحوشها فصارت له بمثابة الأهل، أي فلا يؤذيني الرحيل، ولا يشق علي السير[١].

(هُمُ الرَّهطُ لَا مُسْتَوْدَعُ السِّرِّ شَائِعٌ لَدَيْهِمْ وَلَا الْجَانِي بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ)

(الرَّهط): في معنىٰ الأهل، والسر المستودع: الذي أُودِع، أي: جُعل وديعة عند الشخص، بمعنىٰ أن من ألقي إليه يطلب منه كتمانه.

يقول: هم- أي ما ذَكر من الوحوش- الرهط لا غيرهم، بمعنىٰ أنهم أحقّ باسم الأهل والرهط من الناس، فإن من استودعهم سرا كتموه فلم يفش عندهم، ومن جنىٰ جناية علىٰ أحد لم يسلّموه إليه بجريرته، فيكون ذلك خِذلانا[٢] منهم له، فأين هم من المسمَّين بالأهل، الذين يشيع لديهم مستودع السر، ويخذلون الجاني بما جرىٰ، فيسلمونه إلىٰ المجني عليه.

(وَكُلُّ أَبِيٍّ بَاسِلٌ غَيْرَ أَنَّنِي إِذَا عَرَضَتْ أُولَىٰ الطَّرَائِدِ أَبْسَلُ)

الـ(أبي): الذي يأبىٰ الدنايا، ولا يقبل الضَّيْم، فعلُه: أبىٰ بالقصر، إباء بالكسر أيضًا، والـ(باسل) هنا: الأسد، والذي بَسَل بُسُولًا: عَبَس غضبا أو شجاعة، فهو أيضًا بَسِلٌ وبَسِيلٌ. و(عرضت): ظهرت. و(الطرائد): جمع طريدة، بمعنىٰ مطرودة، وهي من الإبل ما يُزعَجُ من محلِّه في الفَلَواتِ[٣].

---

(١) قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**ولي دونكم يا بني أمي أهلون، مؤالفون من وحوش القفار والمفاوز**)، هذا يقع للعبد إذا استوحش من الخليقة، فيفضي به استيحاشه من الناس إلىٰ التفرُّد عنهم في القفار، كما يقع في آخر الزمان عند كثرة الفتن، ففي الصَّحيح من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «**يُوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبعُ بها شَعفَ الجبال، ومواقع القطرِ**» فهذا حال المؤمن إذا فسد الناس، فإن أُنسه بالقفار والمفاوز يكون أكثر من أنسه بالناس لفسادهم.

وقولُه: (**وتكرر منه قطعه المَهَامِهِ**) أي الأراضي المتسعة التي هي محلٌ للهلكة، جمع مَهْمَه.

(٢) (**خِذلان**) بكسر الخاء، ودائمًا حاول أن تجد في المعنىٰ ما يدل علىٰ المبنىٰ، فإن **الخذلان فيه ضِعة وذلة**، والضعة والذِّلة يناسبها الكسر، فتقول: (خِذلان) ولا تقول (خُذلان)، ومثل هذا أنك تقول (تِهامة) ولا تقول: (تُهامة)، لأن (**تِهامة**) **اسم لما انخفض من الأرض**، والكسرة تحت التاء هي المنخفض، وبمثل هذه المقارنة تحفظ كثيرًا من كلام العرب.

(٣) قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**ما يُزعَج منه في الفلوات**) أي: ما يُحرَّك من مكانه في الصحراء، ومنه ما جاء في حديثٍ عند النَّسائي أن النبي ﷺ مر بظَبيٍ حاقفٍ؛ فقال «**لا يربه منكم أحد**» أي: لا يحركه ولا يثيره مزعجًا له أحد منكم، **والحاقف**:
=

والمعنىٰ: وكلُّ واحد مما ذكرته من الأهلين حميُّ الأنف، لا يُضام، شديد الشَّكِيمَة، لا يُرام بهوانٍ، غير أنني أشدُّ إباءً لذلك منها إذا ظهرت الأولىٰ من الإبل التي شَلَّت[1] في الغارات، وتبعها أربابها لاستنقاذها وهوَ أحْردُ شيء إذ ذاك[2]، واشد غيظا، يكادون يتميزون من الغيظ علينا، فناهيك بقتالهم، وبشجاعة من يجول في مجالهم، ولا يكترث بنزالهم، ثم قال:

(وإنْ مُدَّتِ الْأَيْدِي إِلَىٰ الزَّادِ لم أَكُنْ   بِأَعْجَلِهِمْ إِذْ أَجْشَعُ القَوْمِ أعْجَلُ)

الـ(أَجْشَعُ) - بتقديم الجيم علىٰ الشين-الأكثر جشعا، بالتحريك، وهو أشد الحرص وأسوؤه، وأن يأخذ الإنسان نصيبه وعينه في نصيب غيره.

يقول: إذا اجتمع الناس علىٰ زادهم، ومدوا أيديهم لتناوله، لم أكن أنا أكثرهم عجَلًا إليه بأن أسبقهم إلىٰ ذلك جميعهم، أمَّا سَبْقُ بعضهم فقط، كما إذا سبق بعض الآكلين الجميع فتلاهم بعضهم علىٰ الفور قبل غيره، فإن ذلك قد لا يكون عيبًا؛ بل ربما كان من مكارم الأخلاق، لما فيه من رفع الحِشْمة عن السابق، بما يناسبه بذلك، ولذلك نفىٰ عنه الأعْجَلِيَّة دون مطلقِ العَجَل، فإنه لا يكون من الزلل، ولا يعد صاحبه مخطئًا فيُدْعَىٰ علىٰ أمِّه بالهَبَل[3].

ويدلُّ لما قلناه قوله: (إذْ أَجشَعُ القومِ أعجلُ) أي أشد القوم حرصًا علىٰ الطعام لشدة نهمه، أشدهم عجلًا إلىٰ مدِّ اليد إلىٰ الزاد.

ووجه الدِّلالة منه أنه علّل نفي كونه أعجل بأن سببه شدة الجشع في الخارج، فيُستدل بالأعجلية علىٰ الجشع فيُذم بذلك، و حيثُ أنه عنوان علىٰ شدة النَّهْمِ، فالذَّم في الحقيقة إنما هو بالجشع، أما إذا كان سبب العجلة ما قلنا، فلا ذم، والله سبحانه أعلم.

(وَمَا ذَاكَ إِلَّا بَسْطَةٌ عَنْ تَفَضُّلٍ   عَلَيْهِمْ وَكَانَ الْأَفْضَلَ الْمُتَفَضِّلُ)

الـ(بسطة) هنا: السّماحة والسّعة في الكرم، والـ(تفضل) كالإفضال: الإحسان، يقال: أفضَل علينا وتفضل.

والمعنىٰ: وليس انقباض يدي عن تناول الزَّاد قبلهم لعلّة سوىٰ سماحة النّاشئة عن إحسان إليهم، أو

=

الجالس في ظل حَقْف؛ أي في ظل مرتفع من الرمل، وكان فيه سهمٌ أصابه.

(١) (شَلَّت) يعني هربت.

(٢) قوله رَحِمَهُ اللهُ (وهو أحْرَد شيء إذ ذاك) الحَرَد: الغضب، أي أنه شديد الغضب.

(٣) قولُه: (ويدعىٰ علىٰ أمه بالهبل) أي يقال كما تقول العرب (هَبِلَت أمُّك) أي: أصابها الهَبَل وهو الخَبَل.

سوىٰ سعة في إحسان إليهم.

فـ(عن) بمعنىٰ (في) علىٰ هذا التقدير الآخَر، وكان المتفضِّل أي المحسن الأفضل، بالنصب علىٰ أنه خبر كان مقدَّمًا علىٰ اسمها، وجملة (وكان الأفضل. . .) إلخ. أكَّدَت ما أبهمته التي قبلها بمعونة المقام من كون المتفضل أكثر فضلا من غيره، وهذا يسمىٰ تذييلا[١]، وقد تكون الجملة المذيلة مؤكِّدَة لمنطوق ما قبلها، وهي علىٰ كل حال لا محل لها من الإعراب.

ومن الناس من يسمي مثل هذه الجملة اعتراضا، وإن كان في آخِر الكلام بناءٌ، علىٰ أنه عنده لا يختص بأثناء الكلام الواحد، أو ما في معناه من الكلامين المتَّصلين معنىً، ولا مشاحَّة في الاصطلاح، ونُكتة هذا التذييل أو الاعتراض الحث علىٰ التفضل.

(وإنِّي كَفَانِي فَقْدَ مَنْ لَيْسَ جَازِيًا بِحُسْنَىٰ وَلا فِي قُربِهِ مُتَعَلَّلُ)

(كَفَانِي) كذا: أي أحسبني، ووجدت فيه الكفاية. والـ(حسنىٰ): ضد السَّوْأَىٰ، والـ(مُتَعَلَّل): موضع التَّعَلُّل، أي التلهِّي والاجْتِزَاءِ.

يقول: لا أبالي بفقد الشخص الذي ليس مكافئًا علىٰ الفعلة الحسنىٰ، وليس في قُربه- أي القرب منه- ما يتعلَّلُ به مَن قَرُبَ منه، أي: لا خير فيه فتتلهَّىٰ به نفس من قرُب، وتتكلف الاجتزاء به لقلَّتِه، فقد كفاني فقْد هذا المذكور وأي: خوف فقدُه.

(ثَلَاثَةُ أَصْحَابٍ: فُؤَادٌ مُشَيَّعٌ وَأَبْيَضُ إِصْلِيتٌ، وَصَفْرَاءُ عَيْطَلُ)

ومن لا يخاف فقده لأجل وجود هذه الثلاثة، يكون وجوده مساويًا لعدمه، من أجل عدم الانتفاع به، والـ(فؤاد) الـ(مُشيَّع)- بضم الميم وفتح الشين المعجمة والياء المشددة-: الشجاع الجريء، كأنه يُشَيَّعٌ بغيره[٢] أو بقوة أودعها الله فيه.

والـ(أبيض) الـ(إصْلِيتُ) بكسر الهمزة: السيف الصقيل الماضي، وفي معناه: الصَّلْتُ والمُنْصَلِتْ[٣]. والـ(صَّفراء) الـ(عَيطَل)- بالعين المهملة- القوس الطويلة.

فـ(فؤاد) وما عطف عليه تفصيل لإجمال ثلاثة أصحاب، أي فهم فؤاد قوي، وسيف صقيل ماضٍ،

---

(١) قولُه: (وهذا يسمىٰ تذييلًا) التذييل عند علماء البلاغة: تعقيب جملة بأخرىٰ تشتمل علىٰ معناها تأكيدًا لها.

(٢) قولُه: (كأنه يشيَّع بغيره) أي: كأن معه غيره، فالتشييع هو المصاحبة.

(٣) إلا أن هذا اللقب وهو الإصليت و(الصَّلْتُ والمُنْصَلِت) إنما يكون اسمًا له إذا خرج من غِمدِه، فيقال: سيف مصلتًا إذا كان مجردًا من غمدِه.

وقوس صفراء طويلة، ولعلها أجود القِسِيّ عُودًا وأبعدَها مَرْمىٰ.

ثم وصف القوس بما يدل علىٰ جودتها فقال:

(هَتُوفٌ مِنَ الْمُلْسِ الْمُتُونِ يَزِينُهَا   رَصَائِعُ قَدْ نِيطَتْ عَلَيْهَا ومِحْمَلُ[1]
إِذَا زَلَّ عَنْهَا السَّهْمُ حَنَّتْ كَأَنَّهَا   مُرَزَّأَةٌ عَجْلَىٰ تَرِنُّ وتُعْوِلُ)

الـ(ـهَتُوف) من القِسِيِّ: المُصَوِّتَةِ بكَثْرَة[2]، ومثله الهتَّافَة والهَتْفَىٰ كجَمْزَىٰ بالتحريك.

و(المتون): الظهور، واحدها متن. والـ(ـرَّصَائع)، جمع رَصِيعة: وهي كلُّ حلْقة مستديرة، فلعل القسي العربية كانت تزين بالحلق المستديرة.

ومن الناس من فسّر الرصائعَ هنا بسيور مضفورة وليس ذلك في «القاموس»، ولا خير فيما لا يوجد فيه إن شاء الله تعالىٰ[3]، والـ(ـمِحْمَلُ): العِلَاقَةُ[4]، وحنين القوس: تَصْوِيتُهَا، والـ(ـمرَزَّأَةُ): الكثيرة الرزايا، أي المصائب. **والرَّنين**: التصويت، رنَّت القوس ترن، و(عَجْلَىٰ) صفة مرزَّأة، فهي بمعنىٰ عَجول بفتح العين: وهي الوالِهُ من النساء لفقد ولدها. **والإعوال**: رفع الصوت بالبكاء، وجملة (ترنُّ) في موضع نصب علىٰ الحال من مرَزَّأة.

والمعنىٰ: اشبهت القوس بتصويتها، عند مفارقة السهم لها، امرأة كثرت أرزاؤها، والِهًا، في حال كونها ترن وترفع صوتها بالبكاء.

(وَلَسْتُ بِمِهْيَافٍ يُعَشِّي سَوَامَهُ   مُجَدَّعَةً سُقْبَانُهَا وَهْيَ بُهَّلُ)

---

(١) (**محمل**) كمِنْبَر.

(٢) **لأن الهُتاف هو التصويت.**

(٣) قوله رَحِمَهُ اللهُ: (**وليس ذلك في «القاموس»**) أي هذا المعنىٰ في تفسير الرصائع، ولذلك استدركه عليه الزَّبيدي في «تاج العروس»، و«القاموس» المراد به «القاموس المحيط» للفيروز آبادي، وقول المصنف (**ولا خير فيما لا يوجد فيه**) أي: لا وثوق فيه من جهة العربية، فكأنه يرىٰ أن «القاموس» هو البحر الجامع لكلام العرب، وهذا الذي نحا إليه كطريقة من نحا إلىٰ أن من خرج عن القراءات السبع شاذٌ، وليس هذا وذاك صحيحًا، بل «القاموس» قد اشتمل علىٰ كثيرٍ من لغة العرب وفاته شيءٌ منها، ومن طالع شرحه «تاج العروس» وقف علىٰ كثير من مستدركاته، وقد أخرج بعض المتأخرين «مستدرك» الزَّبيدي رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ علىٰ «القاموس»؛ بل ألف أحد النصارىٰ المهتمين بلسان العرب كتابًا كبيرًا في عشرة مجلدات ذكر فيه ما فات معاجم اللغة؛ لكنه توسع فيه توسعًا كبيرًا فأدخل أشياء كثيرة لا يسامح في كونها من لغة العرب، وإنّما هي مما وقع في كلام المولَّدين والمُحدَثين بعد العرب الفصحاء.

(٤) قولُه: (**والمحمل: العِلاقة**) أي عِلاقة السيف التي يُعلَّق بها.

الـ(مِهْيَافُ): الشديد العطش، والـ(سَّوام): النعم الراعي كالسائمة، أسام الإبل: رعاها، **وعشَّاها** بالتّشديد: رعاها ليلا[١]، فهي عاشية، وفي المثل: العاشية تهيِّجُ الآبِيَة، أي: الراعية تبعث التي امتنعت من الرعي عليه. والـ(سُّقْبَان)- بالضم- أولاد الإبل، ومن الناس من خصَّ به الذكور، ومنهم من قال: إنما يسمىٰ السُّقبُ ساعة الولادة، **وتجديع السُّقبَان**: إساءة غذائها كإجداعها. والـ(بُهَّلُ) جمع باهل: وهي الناقة التي لا صِرار عليها. والصِّرَارُ- بالصاد المهملة بزنة كتاب- ما يشد به ضرع الناقة، يقال: أبْهَلَهَا إذا أهملها من ذلك، وترك ولدها يرضعُها.

يقول: لست راعيًا شديد العطش، أو سريعه في حال كونه يرعىٰ إبله ليلا حال كون الإبل جائعة الأولاد لقلة اللبن، وفي حال كونها غير مشدودة الضروع من أجل ذلك، إذ لا فائدة من شدها حين لا لبن، فأولادها ترضعها لو كان الرضاع يغنيها من جوع، أو يسمنها، وهذه حالة شديدة[٢]. نفىٰ عن نفسه أن يكون من ذكر مؤكدًا للنفي بزيادة الباء في الخبر، لأن الكون علىٰ تلك الحال تسوء معه الأخلاق وتَحْرُجُ به الصدور.

(ولا جُبَّإٍ أَكْهَىٰ مُرِبٍّ بِعِرْسِهِ يُطَالِعُهَا فِي شَأْنِه كَيْفَ يفعَلُ)

الـ(جُبَّأ)- بوزن سُكَّر-: الجبا، والـ(أَكْهَىٰ) بالهاء: الجبان الضعيف. فهو تأكيد للجبان، أي: نعت له مفيد للتأكيد بما فيه من الزيادة علىٰ معنىٰ الأوّل، يقال منه: كَهِيَ كرَضِيَ[٣].

والإِرْبَابُ بالعُرْسِ- أي: الزوجة ملازمتُها، **ومطالعتُها في الشأن**: مؤامرتها فيه[٤].

يقول: ولست بجبانٍ ضعيفٍ ملازم لزوجته، يؤامرها في شؤونه، كيف يفعل فيها، فقوله: (كيف يفعل) تفسير لـ (يطالعُها) أي: يسائِلُها كيف يفعل فيما عنَّ له من شأنه، وناهيك بضعفٍ من يسأل

---

(١) قوله رَحِمَهُ اللَّهُ (**عشاها بالتشديد: رعاها ليلًا فهي عاشية**) الصحيح رعاها في العَشِي، وهو آخر النهار، والإبل لا تُطعم في الليل، وإنما تطعم في طرفي النهار في أوله وفي آخره.

(٢) قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وهذه حالة شديدة**) الصحيح أن الحال تذكّر في صورة البناء وتؤنث في المعنىٰ، فلا تضاف إليها تاء التأنيث وإنما يقال: (هذه حالٌ) ثم تعامل عليه فيقال: (هذه حال شديدة)، وعند العد يقال (الحال الأولىٰ، الحال الثانية) لأنها مؤنث.

(٣) ذهب الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ إلىٰ أن الأكْهىٰ جبانٌ مخصوص، وخصصه بصفه الضعف، ففيه معنًىٰ يزيد عن الجُبَّاءِ المذكور قبله، وذهب بعض أهل العربية إلىٰ أن **الأَكْهَىٰ هو كَرِهُ الأخلاق الذي لا خير فيه، أو هو البليد.**

(٤) قولُه: (**مؤامرتها فيه**) أي: مشاورتها في الأمر.

النساء، ويرجع إلىٰ إشارتهن في الأمور، ومشورتهن في الشؤون، فإنهنّ ناقصات عقل ودين، والمحتاج إليهن في ذلك أنقص عقلًا، وأضعف رأيًا.[١]

(وَلَا خَـرِقٍ هَيْـقٍ كَـأَنَّ فُـؤَادَهُ يَظَـلُّ بِـهِ الْمُكَّـاءُ يَعْلُـو وَيَسْـفُلُ)

الـ(خَرِق)-بالخاء المعجمة المفتوحة بوزن كتِف-: الذي خرق كفرح، أي: دُهِش من خوف أو بُهِت فاتحًا عينيه ينظر. وخَرِقَ الطائرُ: لم يقدر علىٰ الطيران. والـ(هَيْق): الرقيق الطويل.[٢] و(المُكَّاء)-بضم الميم وفتح الكاف المشددة-: طائر جمعه مُكاكي. وأما المكَاء بالتخفيف: فالتضفير بالفم، أو النّفخ في الأصابع مشبكة. والمكاء بالتّشديد: ذو مكاء بالتخفيف، ولذلك يسمّىٰ الصّافر، وهو طائر جبان يضرب به المثل، يقال: (أجبن من صافر). ولذلك ما خصّه الشَّنْفَرَىٰ بظنه في فؤاد الخرق الهيق. والفؤاد: ما يتعلق بالمرء من كبد ورئة وقلب[٣].

والمعنىٰ علىٰ تشبيه القلب في الاضطراب من الدهش والخوف بالمكاء. وهو تشبيه مكنيّ عنه لا مصرح به. وبيان الكناية أنه يلزم من ظن المكاء في الفؤاد ظن القلب مُكّاء؛ لأن الذي في الفؤاد- علىٰ التحقيق- القلب، والظن المذكور استفيد من خبر (كَأَنَّ). فإنه إذا كان فعلا كما هنا، أو ظرفا، أو مشتقا، أُشربت (كَأَنَّ) معنىٰ الظن[٤].

وتقدير البيت: ولست أيضًا بذي دهَش طويل في نحافة، فإن ذلك من إمارات الحمق غالبا، مظنونًا،

---

(١) ما يذكر في كلام أهل العلم من عيبِ استشارة النساءِ، لا يراد به مُطلقه وإنما يراد به دوامُه، وأمّا وقُوعه مرة بعد مرة؛ فهذا اتّفق لخير الخلق ﷺ، فإنّه لما أمر أصحابه في صُلح الحديبية -كما في الصحيح- أن يحْلِقوا وأن ينحروا فلم يقم منه أحدٌ، فدخل علىٰ أمِّ سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فذكرت له أن يخرج فلا يُكَلِّمَ أحدًا منهم، فينحر ثم يدعو حالقه فيحلق رأسه، ففعل ذلك ﷺ فتبعه الناس في ذلك. فاستشارة المرأة إذا كانت عندها حكمة ورأي مرّة بعد مرّة؛ فهذا أمرٌ لا بأس به، أما إدامة ذلك وإجماله فهذا الذي يُعاب لما في طبع النساء من النقص شرعًا وقدَرًا.

(٢) تفسيره للهيق بالرقيق الطويل، أحسن منه من فسر **الهيق بالظَّليم**، وهو ذكر النعام، فكأنه هيقٌ في خوفه، إذا صار هاربًا لوجودِ ما يُزلزل فؤاده.

(٣) قوله رَحِمَهُ اللهُ (**والفؤاد ما يتعلق بالمرء من كبد ورئة وقلب**) فيه نظر، **الصّحيح أنَّ الفؤاد هو محل العقل من القلب**، فالقلب يشتمل علىٰ الفؤاد، وهو في سويدائه، وبه أنيط العقل، ولذلك فإن الله سبحانه وتعالىٰ يمتنُّ علىٰ الخلق بالأفئدة، لأنها محلُّ العقل منهم.

(٤) قوله رَحِمَهُ اللهُ (**أشربته (كَأَنَّ) معنىٰ الظن**) أي: ضُمِّنت ذاك، فإن الإشراب في المعاني عندهم معناه التضمين، فكأن في داخل (كأن) معنىٰ الظن، والتضمين هو مشهورُ مذهب البصريين.

فؤاد ذلك الخرق يقيم به المكاء حالة كونه عاليا وسافلا، أي: يرتفع وينخفض من شدة الدهش.

(وَلَا خَـــالِفٍ دَارِيَّـــةٍ مُتَغَـــزِّلٍ يَـــرُوحُ وَيَغْـــدُو دَاهِنًـــا يَتَكَحَّـــلُ)

الـ(خالف) الذي خلف: بمعنىٰ فسد أو حمُق، ويسمىٰ بهذا المعنىٰ الثاني خالفة أيضًا، أو الذي خلُف عن أصحابه؛ بمعنىٰ تخلّف عنهم، أو الذي خلُف غيره؛ أي: صار خليفته في أهله. والداريَّة: من لا يفارق البيوت. وقيل: الذي يكثر الإدراء لغيره: أي الخَتْل[١]. فتاؤه- عليهما- للمبالغة كعلَّامة، ونسَّابة.

والـ(متغزل): الذي يتكلف الغزَل- بالتحريك-: وهو محادثة النساء، ومرادودتهن، غازلهن وغازلنه.

يقول: ولست بالفاسد أو الذي يخلف عن أصحابه: أي يتخلّف عنهم، ويخلفهم في أهاليهم بالريبة، لا يفارق البيوت لذلك يغازِل النساء ويغازلنه، رائحٌ غادٍ متطيبًا، **متكحلًا** يستميل بذلك النساء.

والمقصود نفي كونه خالفًا، لا خالفا موصوفًا بالأوصاف المذكورة، حتىٰ يقال: يلزم من نفي الخالف الموصوف بها نفي الخالف غير الموصوف بها، علىٰ أنه- والله العالم سبحانه- لا وجود للخالف بدون تلك الأوصاف، فهي صفة كاشفة له عن معناه، تشعر بذمِّه[٢]، ومع ذلك فإن نفوس ذوي الهمم من العرب كانت تأنف من ذلك في جاهليتها، وتذم فاعله غاية الذم، ويتمدحون بغض البصر عن الجارات، قال عنترة:

وأغض طرفي عن بدت لي جارتي حتـــىٰ يـــواري جـــارتي مأواهـــا

وقال عقيل بن عُلَّفَة المُرِّي:

ولســـت بســـائل جـــارات بيتـــي أغيـــاب رجالـــك أم شـــهود
ولا ملق لـذي الودعـات[٣] سـوطي ألاعبـــــه وربتـــــه أريـــــد
ولسـت بصـادرٍ عـن بيـت جـاري صـــدور العيـــر غمَّـــره الـــورود

(وَلَسْـــتُ بِعَـــلٍّ شَـــرُّهُ دُونَ خَيْـــرِهِ أَلَـــفَّ إِذَا مَـــا رُعْتَـــهُ اهْتَـــاجَ أَعْـــزَلُ)

---

(١) (**الختل**) الأخذ علىٰ غرة، أن يكون مختلسًا.

(٢) قول (**فهي صفة كاشفة**) أي لا تفيد تخصيصًا؛ بل هي ملازمة لأصل الكلمة، فقوله تعالىٰ: ﴿ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ ﴾ [الأعراف:٣٣] فإن قوله: ﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ صفة كاشفة، فكل بغي فهو بغير الحق، فهي لا تفيد معنىٰ جديدًا يقيد البغي بحيث يكون بعضه بحق وبعضه بغير الحق.

(٣) (**الودعات**) يعني متعلق الودعات، **الودعات جمع ودعة، وهو خرزٌ تتزين به النساء مما يؤخذ من أصداف البحر أو غيره.**

الـ(ـعل)- بفتح العين المهملة وتشديد اللام-: من يزور النساء كثيرًا، ومن تقبض جلده من مرض، والمسن الصغير الجثة. وهذه المعاني صالحة هنا كلها(١). أما الذي يكثر الزيارة للنساء فإنه يتخلق بأخلاقهن فيكثر شره، ويقلّ خيره، كالذي تقبض جلده من المرض، فإنه يفسد مزاجه، ويحرُجُ صدره، ولا تسل عن شرِّه وندور خيره.

وأما الثالث فلأن دمامة الخَلق- بالفتح- يلازمها ذمامة الخُلق في الغالب. و(أَلَفّ)- بتشديد الفاء- العيي، البطيء الكلام، إذا تكلم ملأ لسانه فمه، وهو أيضًا الثقيل البطيء المقرون الحاجبين. وكلا المعنيين يعاب به؛ لكونه يدل علىٰ نقص باطني. **والاهتياج**: الثوران، كالهيج والهيجان، والهياج بالكسر. والروع: الفزع. والـ(أعزل): الذي لا سلاح معه.

وجملة (شَرُّهُ دُونَ خَيْرِهِ) في موضع خفت علىٰ النعت لـ(عل) و(ألفّ) و(أعزل): نعتان له مقطوعان، أي هو ألفّ، وهو أعزل، والثاني هو المقطوع، والأول تابع لمتبوعه في الإعراب.

والمقصود من هذه النعوت مجرد الذم للمنعوت، علىٰ أن الأول وهو: (شَرُّهُ دُونَ خَيْرِهِ) مبين لملازم معنىٰ المنعوت كما أومأنا إليه آنفا، ومعنىٰ: (شَرُّهُ دُونَ خَيْرِهِ) أي شره أدنىٰ الناس من خيره، وضرّه أقرب إليهم من نفعه، فشره حائل بينه وبين خيره فلا يصلون إليه، وهذا بحسب الدّلالة الوضعية.

أما المقصود: فنفي خيره علىٰ سبيل المبالغة، لا نفي الوصول إليه مع وجوده، لأنّ وجود الخير إنما يدرك بنيله والوقوف عليه، وهو منتفٍ بكون الشّر دونه، أي لا يعلم فيه خير يشوب شرّه، ونفع يخالط ضره، وأفهم نفي هذه الأوصاف المذمومة عنه، ثبوت أضدادها المحمودة له، فهو خيره دون شره، قريب البيان، فصيح اللسان، ثبْتُ الجنان، لا يهتاج [لقعَّة] السِّنان، ملازم السلاح، مستعد للكفاح.

(وَلَسْتُ بِمِحْيَارِ الظَّلَامِ إِذَا انْتَحَتْ   هُدَىٰ الْهَوْجَلِ الْعِسِّيفِ يَهْمَاءُ يَعْمَلُ)

الـ(محيار): الكثير الحيرة. **والانتحاء**: القصد. الـ(يعمل): الجمل المطبوع علىٰ العمل، والناقة يعملة. واليعمل واليعملة اسمان لا يوصف بهما كما في «القاموس».

واليعمل فاعل انتحىٰ، ويروىٰ: (هوجل): وهي النّاقة السريعة، وانتحت بتاء التأنيث. والـ(هدىٰ)- بضم الهاء وفتح الدال- الرشاد والدلالة، والمراد هنا الطريق والقصد؛ لأنه يهتدىٰ بالطريق ويهتدىٰ له، والهوجل هنا: الدليل. و(العِسِّيف)-بكسر العين والسين المشددة المهملتين: الذي يكثر من قطع

(١) وقيل أيضًا إنه القُراد، والقراد دويبة صغيرة تعلق بالإبل وغيرها فتؤذيها لأنها تمص دمها، وهو صالحٌ للمعنىٰ هنا، وبه فسره بعض شراح القصيدة.

المفاوز علىٰ غير طريق، مبالغةً في العاسف.

وَ(هُدَىٰ) منصوب بـ(انْتَحَت) علىٰ أنه مفعول به، أو مفعول مطلق مرادف لمصدر الفعل، لن المعنىٰ: انتحىٰ انتحاء الهوجل، أو المعنىٰ: اهتدىٰ هداه.

وتقدير البيت: ولست بشخص كثير الحيرة في الظلام، بمعنىٰ أنه يقع التحيّر منه كثيرا، أي: تكثر مراءاته[١]، أو يشتد ما يقع منه من ذلك بحيث لا يجد مخرجا، وقد يقال: لا يُحتاج إلىٰ هذا، إذ لا يسمىٰ تحيرًا إلا ما كان مثل هذا. أمّا التوقف الذي يعقبه الاهتداء فليس بحيرة، ولا يُذم به صاحبه، وقلّما يسلم منه، فلأجل هذا خصّ النفي بما يدل علىٰ الكثرة في ذلك وهو محيار بزنة (مفعال) الذي هو من أمثلة المبالغة في تكثير المعنىٰ، ونفي ذلك عنه أفاد ثبوت ضده له وهو أنه كثير الاهتداء إلىٰ قصد السبيل عند اشتباك الظلام، فلا تعمىٰ عليه المسالك، إذا قَصْدُ جمَلٍ مطبوعٍ علىٰ العمل قَصْدُ الدَّليلِ الذي يكثر منه عسف الـ(يهماء)؛ أي: المفازة التي يهيم فيها السالك.[٢]

فـ(يهماء) -علىٰ ما قررنا- مفعول بالعسيف، وأسند القصد علىٰ الجمل لأنه هو الذي يسير، فالراكب تابع في القصد للمركوب، والمركوب تابعٌ للراكب في الاهتداء والتحيُّر، ولذلك ما نفىٰ التحير عنه دون الجمل. وهذه من لطائف البلاغة، وأسرار الفصاحة.

وجعل الطريق الدليل هدىٰ، لأن من يسلكها يجد عليها هدىٰ، فكان الطريق هدىٰ من الدليل الذي يسلكها أولًا لمن يسلكها بعده.

ويجوز أن يفسر الهدىٰ بالراحة هنا، لاهتداء راكبها بها. فـ(هدىٰ) عليه فاعل (انتحت)، و(يعمل) بدل منه، و(يهماء) بالنصب مفعوله.

والتقدير: إذا قصدت راحلة الهوجل العسيف وهي يعمل يهماء.

(إِذَا الْأَمْعَزُ الصَّوَّانُ لَاقَىٰ مَنَاسِمِي تَطَايَرَ مِنْهُ قَادِحٌ وَمُفَلَّلُ)

(الأمعز): المكان الصلب. و(الصَّوَّان) جمع صوَّانة: ضربٌ من الحجارة شديد. فالأمعز الصوان[٣]: صاحب الصوان. والـ(مناسم) جمع منسم: مقدم الخُف. والـ(قادح): الذي يقدح النار.

---

(١) (**وما تكثر مراءاته**) أي: ما يصدر ويتبادر إليه من الآراء.

(٢) الجملة (إذا قصْدُ جملٍ مطبوع عن العمل قصدُ الدليل الذي يكثر منه عزف اليهماء) ولذلك لعلها حينئذ: (**إذ قصد جملٍ مطبوع عن العمل قصد الدليل الذي يكثر منه عزف اليهماء** أي: المفازة) ، المقصود أنهما يستويان في هذا.

(٣) والمكان الذي ينتهي إليه حدّ جزيرة العرب من الشمال يسمىٰ (حرّة صوَّان) كما ذكر هذا شيخ الإسلام ابن تيمية =

والـ(مُفلَّل): المكسَّر.

وصف بعيره بصلابة أخفافه بحيث تؤثِّر مناسمُها في الأماكن الصلبة إذا لاقتها. فتطير منها أحجارا قادحة للنار، وأخرىٰ مكسورة من شدة الوطء وصلابة ما يباشر الأرض من الأخفاف

(أُدِيمُ مِطَالَ الْجُوعِ حَتَّىٰ أُمِيتَهُ وَأَضْرِبُ عَنْهُ الذِّكْرَ صَفْحًا فَأَذْهَلُ)

الـ(مِطال): كالمطل: تأخير الحق. يقال: مطله وماطله بحقه: لواه، أي: أخره. والـ(صفح): مصدر صفح، يصفح- بفتح الفاء فيهما- أعرض، و(أذهل)- بالفتح- مضارع ذهلت عن الشيء، بالفتح، ذهلًا، أو ذهلت عنه بالكسر ذهولًا: نسيته، و(الذِّكر): التَّذكر[1]. وضربه من الجوع صفحًا: الإعراض عما يقتضيه من الأكل إعراضا، وهذا عين مطاله الذي يديمه حتىٰ يميت الجوع، أي: يكسر سورته، ويقتل كلبه بدوام مصابرته بأن يرتاض به فلا يتأثر به بعد. وغاية ذلك أن يذهل عن وجوده، وألا يحس بحر وقوده.

(وَأَسْتَفُّ تُرْبَ الْأَرْضِ كَيْلَا يَرَىٰ لَهُ عَلَيَّ مِنَ الطَّوْلِ امْرُؤٌ مُتَطَوِّلُ)

استفاف التُّرْب كسَفِّه، والسَّويق: أخذه غير ملتوث[2]. و(الطَّوْل)- بفتح الطاء المهملة- الفضل و(مِنْ) زائدة للتوكيد. والـ(متطوِّل): المتفضِّل.

يريد أنه إذا دار أمره بين أن يستفّ التراب، أو أن يتحمل منَّة من ذي مَنٍّ ، فإنه يختار استفاف التراب.

وتقدير البيت: وأستف تراب الأرض لأجل ألا يرىٰ بسبب ذلك علىٰ امرؤ متفضل فضلا.

بمعنىٰ أن هذه عادتي، فسف التراب عند خوف المنة متحقق في حقه ماض بالنسبة لزمان تكلّمه، فالتعبير بالمضارع لحكاية حالة سفه التراب الماضية، فهو يستحضر به صورة السف لفظاعتها.

أو يقال: إن المعتاد مستقبل العودة كما هو ماضي البدء، فالتعبير بالمضارع عما يعود منه حقيقة، وعما مضىٰ منه مَجاز.

(وَلَوْلَا اجْتِنَابُ الذَّمِّ لَمْ يُلْفَ مَشْرَبٌ يُعَاشُ بِهِ إِلَّا لَدَيَّ وَمَأْكَلُ)

رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ، وفات المتكلِّمين علىٰ تحديدها من جهة الشمال، وهذا الصوّان حرّة معروفة سوداء الصخور، بعد نهاية حدود السعودية بمسافة قريبة جدًّا بداخل الأردن.

(١) قوله رَحِمَهُ اللَّهُ (**والذِّكر: التذكر**) هذا عند جماعة من أهل العربية، وذهب بعض أهل العربية إلىٰ أن التَّذكُّر يكون بضم الذال فيقال: الذُّكر علىٰ إرادة التذكر.

(٢) (**ملتوثٍ**) يعني محتبسٍ.

يعني أن اجتنابة الذّم المحقق بحسب دعواه بشهادة (لـولا) فإنها تقتضي وجود شرطها، وامتناع جوابها لوجوده، والشرط هنا اجتناب الذم، فهو الذي أرقىٰ همته، وقمع نهمته، ومنع من وجدان المشارب والمآكل التي يعاش بها عنده، ولولا ذلك- أي: لو قدر عدم اجتناب الذم بعدم المبالاة به- لم يوجد شيء مما ذكر إلا عنده.

(وَلَكِنَّ نَفْسًا حُرَّةً لَا تُقِيمُ بِي عَلَىٰ الذَّمِ إِلَّا رَيْثَمَا أَتَحَوَّلُ)

الـ(نّفس) الـ(حرّة) [1]: هي الكريمة التي تأنف من الدّنايا، وتستسهل في جنبها المنايا. والـ(ريث) هنا: القدر، و(لكنّ) هنا للاستدراك المحقق لوجود اجتناب الذم المانع من ارتكاب ما تضمنه الجواب الذي امتنع لوجوده، فيتحقق امتناع مضمون الجواب ، وذلك مفهوم من (لـولا) في البيت الأول فيكون هذا تأكيدا لذلك.

وبالجملة: إن هذا من الاستدراك المشتمل علىٰ الإثبات الذي لم يتوهم نفيه لمجرد التأكيد. وقد يكون بالنفي لما لم يتوهم ثبوته كذلك. ومن قول أُبيّ بن سُلمىٰ بن ربيعة:

فلو طار ذو حافر قبلها لطارت ولكنه لم يطر

فإن (لو) أفادت امتناع طيران ذي الحافر، فارتفع توهمه فاستدراكه بعد يكون للتأكيد.

وتقدير البيت: ولكنّ نفسا كريمة لا تستمر بي علىٰ ما أُذَمُّ به إلا مقدار ما انتقل عنه.

والمعنىٰ أنه لا يقيم لحظة، فاستثناء مقدار التحول من مقدار الإقامة استثناء من غير الجنس، أفاد ذلك مبالغة في عدم الإقامة علىٰ الذَّم. فالإقامة والتحول- أي: قدره - متغايران، وقد حصر ما أثبته من الإقامة في التحوُّل الذي هو ضدها بلا تأول ، وذلك محال لا يخطر ببال، فتكون الإقامة علىٰ الذَّم من المحال، وهذا هو المسمىٰ بعلم البديع بتأكيد المدح بما يشبه الذم، ومن شواهده قول النابغة:

ولا عَيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

فاستثناء فلول السيف من العيب، كاستثناء التحول من الإقامة في بيت الشَّنْفَرَىٰ ، ففلول السيف مدح أُفرغ في قالب الذم، أكد المدح بنفي العيب لتحقيقه أنه لم يوجد من أفراد العيب شيء، وكذلك القول عن الذم مدح عظيم مفرغ في قالب الذم، حيث استثني من نفي الإقامة علىٰ الذم والاستثناء من النفي إثبات، فيقتضي إثبات الإقامة علىٰ الذم، وكونها تحولا عنه مؤكد لنفيها، وبرهان علىٰ استغراق النفي بجميع إفراد الإقامة علىٰ الذم.

---

(١) وقع في بعض روايات القصيدة (**ولكن نفسًا مرّة**) والمرة؛ هي الأبية.

(وَأَطْوِي عَلَىٰ الْخَمْصِ الْحَوَايَا كَمَا انْطَوَتْ خُيُوطَةُ مَارِيٍّ تُغَارُ وَتُفْتَلُ)

(الحوايا): الأمعاء التي تحوّت، أي استدارت، واحدها حوّية- بوزن غنيّة- وحاوية وحاوياء.

و(الخَمْص) مصدر، خَمَصه الجوع: أضمره. وخَمُصَ البطن - مثلث الميم[1]- أي: خلا، و(الخيوطة) - بالتاء- كالخيوط، والأخياط: جمع خيط. والـ(ماريّ): كساء صغير لخطوط مرسلة، وإزار الساقي من الصُّوف المخطط. و(تغار): يحكم فتلها.

فـ(الحوايا) مفعول (طوىٰ) أي: أشد الأمعاء علىٰ جوعها فتنطوي كما انطوت خيوط الكساء، والإزار الماري في حال كونها تفتل ويحكم فتلها، وانطواء الخيوط في حالة الغزل علىٰ المغزل في غاية الانضمام والتداخل. فيستفاد من تشبيه طي الأمعاء به شدة جوعها، وفرط خَلائها من الغذاء والرطوبات، واستيلاء اليَبس عليها، فتضمر وتنضم، ولا كانضمام الخيوط عند إحكام الفَتْل.

(وَأَغْدُو إِلَىٰ الْقُوتِ الزَّهِيدِ كَمَا غَدَا أَزَلُّ تَهَادَاهُ التَّنَائِفُ أَطْحَلُ)

(القوت): ما يمسك الرمق[2]. و(الزهيد): القليل والضيق، أو المرغوب عنه، بمعنىٰ المزهود فيه، المحتقر. فهذا يناسب قوله: (وأستف ترب الأرض. . .) البيت، والـ(أزلّ): الذئب القليل لحم الألية، وخصه؛ لأن ذلك أشد لوثوبه وسرعة سيره. والـ(أطحَل): ذو الطُّحلة- بالضَّم- وهي لون بين الغبرة والبياض. و(التَّنَائِفُ) جمع تنوفة وهي المفازة. وهل وزن التّنوفة (فعولة) أو (تفعلة)؟ خلاف ذكرناه في «**فرائد التبيان في شرح قلائد العقيان**»، (وتهاداه): أصله تتهاداه بتاءين مضارعُ (تهادته) أي: أهده بعضها إلىٰ البعض. وهو استعارة لخروجه من بعضها إلىٰ ما يليه في سيره لطلب قوته، وهذه الاستعارة تسمَّىٰ تبعية؛ لأنها في الفعل، سُميت بذلك لكونها بالتبع لمصدر الفعل، بمعنىٰ أن المصدر محلّ التشبيه الذي انبنت عليه الاستعارة، فجرىٰ ذلك أولا في المصدر، ثم تبعه في الفعل.

ومعنىٰ البيت: وأسير غدوة مثلا إلىٰ محل القوت المزهود فيه فرارًا من الذم، سيرا حثيثا شبيها بسير الذئب القليل لحم العجز، المغبرّ اللون إلىٰ قوته في ذلك الوقت في حال كونه تتهاداه المفاوز، وتتدفعه أولاها إلىٰ ما يليه وهكذا.

وعدو الذئب في طلب قوته بالغ الغاية في الإبعاد والسرعة، لاسيما إذا كان أزِل. فتشبيه عدْوِه بعدو الذئب لبيان حاله في الغدو في طلب القُوت الذي يُنجيه من المقت المحقق، لشدة اجتنابه من الذّم.

---

(١) قولُه: (**مثلث الميم**) أي: يصح فيه: الضم والفتح والكسر.

(٢) قوله ﵀ (**ما يمسك الرمق**) **الرمق هو بقية الحياة**، والقوت هو الذي يبقي علىٰ الحياة.

فمضمون هذا البيت، والذي قبله: الاحتجاج علىٰ ما ادعاه فيما قبلهما من اجتناب المذمّات وأنفته من الدنيات.

ثم أخذ يشرح أحوال الذئب في سيره علىٰ القوت ليتعلم منها حاله هو في الطلب لكونها مثلها، فقال:

(غَدَا طَاوِيًا يُعَارِضُ الرِّيحَ هَافِيًا يَخُوتُ بِأَذْنَابِ الشِّعَابِ وَيَعْسِلُ)

الـ(طاوي): الذي طوىٰ يطوي: أي لم يأكل شيئًا متعمدًا لذلك، **والمعارضة**: المباراة. و(يخوت)- بالخاء المعجمة- يسرع هنا[1]، من خوت البازي والعقاب: أي: انقضاضهما، هو أسرع ما يكون. و(أذناب الشعاب): أسافلها، **وعسَلان** الذئب، كعسَلِه: خببه في مشيته.

فجملة (غدا) استئنافية لا محل لها - لأجل ذلك - من الإعراب، ويجب فصلها عن التي قبلها المقتضية سؤالا يجاب عنه بالثانية، وبيان ذلك أن قوله: (كما غدا) اقتضىٰ أن يقال: كيف غدا؟ فيقال: (طاويا)، ولو تحقق السؤال لوجب فصل الجواب عنه، فكذلك يجب فصل الجواب عما يتضمن ذلك السؤال، ويسمىٰ الفصل استئنافًا كالجملة المستأنف بها.

والمعنىٰ: غدا الذئب لطلب القوت في حال كونه جائعا، وهذه الحال لازمة له، ولذلك يقولون: (رماه الله بداء الذئب) ، أي الجوع، وغدا أيضًا حالة كونه يباري الريح في السرعة، وفي حال كونه يتحدر في أسافل الشعاب مسرعا كما ينقض البازي، وفي حال كونه يضطرب في مشيته من شدة السرعة. وواحد الشعاب، شعبة: وهي مسيل الماء إلىٰ الوادي.

(فَلَمَّا لَوَاهُ الْقُوتُ مِنْ حَيْثُ أَمَّهُ دَعَا فَأَجَابَتْهُ نَظَائِرُ نُحَّلُ)

لَوَيت فلانا: مطلته بحقه وهو هنا استعارة لعدم وجدان الذئب القوت في المحل الذي (أمَّه): أي قصده. ولما لم يجد ذلك عوىٰ من خيبته في مطلبه (فأجابته نظائر): أي أشباه له، في حالة من الجوع ومن طلب القوت علىٰ الحال الذي وصف، ناحلة مهزولة من أجل ذلك.

(مُهَلَّلَةٌ شِيبُ الْوُجُوهِ كَأَنَّهَا قِدَاحٌ بِكَفَّيْ يَاسِرٍ تَتَقَلْقَلُ)

الـ(مهلّلة): التي تشبه الهلال، وهذا استعمال غريب مخل بفصاحة الكلمة، إذ لم يعهد استعمال (فعّل) بالتشديد في التشبيه. ونظير (مهللة) هنا (مسرّج) في قول العجاج:

---

(١) قولُه: (ويخوت يسرع هنا) لا يقتصر هذا الفعل في دلالته علىٰ الإسراع فقط؛ بل لابد أن يكون مقارنا للختل، وهذه هي طبيعة الذئب، فإنّ الذئب إذا مشىٰ في أذناب الشعب يكون علىٰ هيئة المخاتل الذي يطلب غِرّة من يلتمسه.

وفاحمًا ومرسنًا مسرّجًا[(١)]

أي: كالسيف السُّرَيْجي[(٢)] في الدقة والاستواء، أو كالسِّراج في البريق واللمعان. والـ(شِّيب)، جمع شيب: وهو ها هنا المتغير لون الوجه علىٰ سبيل الاستعارة. والـ(قداح)، جمع قدح بالكسر: وهو السهم قبل أن يراش[(٣)]. وتقلقل القداح: تحريكها واضطرابها، ومِن لازم ذلك تصويتها. والـ(ياسر): الذي يجيلها ويفرقها[(٤)]، فعله يَسَر- بالفتح- ييسِر بالكسر.

والمعنىٰ علىٰ تشبيه الذئاب العاوية الضَّامرة من الجوع بقداح الميسر المصوتة عند اضطرابها في كف المفيض: وهو الياسر، فقوله: (تقلقل) لا يتم المعنىٰ بدونه. و(مهلّلة) بالرفع، من صفات النظائر.

(أَوِ الْخَشْرَمُ الْمَبْعُوثُ حَثْحَثَ دَبْرَهُ   مَحَابِيضُ أَرْسَاهُنَّ سَامٍ مُعَسِّلُ)

(الخشرم)- بالخاء والشين المعجمتين- النحل والزّنابير، واحدته بهاء. و(المبعوث): الذي هيج من محله. والـ(دّبر)- بالفتح- جماعة النحل والزنانبير وبكسر الدال من الدِّبر أيضًا فيهما.

والأليق بالنظر إلىٰ الدبر أن يفسر الخشرم بمأوىٰ النحل هنا، أو بأميرها، وهما من معاني الخشرم أيضًا.

وحثحثة الدبر: تحريكه بالمحابيض، بالضاد المعجمة، جمع مِحبض بزنة (منبر)، وهو عود يشار به العسل[(٥)] ويطرد به الدبر. وإرساء المحابيض: إثباتها. والـ(سامي) الـ(معسل): المرتقي لطلب العسل، كالمستعسل فـ(الخشرم) معطوف علىٰ (قداح).

والمعنىٰ: علىٰ تشبيه الذئاب النحل في حالة عوائها بأمير النحل الذي حرك دبره بالأعواد المسماة بالمحابيض مريد عسلها، وصوت النحل إذ ذاك متوفر متواتر، وتشبيهها بالنحل المبعوث أدل علىٰ شدة صوتها من تشبيهها بالقداح المضطربة في كفي الياسر.

(مُهَرَّتَةٌ فُوهٌ كَأَنَّ شُدُوقَهَا   شُقُوقُ الْعِصِيِّ كَالِحَاتٌ وَبُسَّلُ)

---

(١) (مسرّجًا) و(مهلّلة)، يعني كلاهما دخل عليه التشديد وهو في التشبيه قليل.

(٢) (السيف السُّرَيْجي) منسوب إلىٰ صانع كان يصنعه اسمه سُرَيْج، فاشتهر بهذا الاسم في صفته.

(٣) (قبل أن يراش) أي: قبل أن يجعل له ريش، وريش السَّهم يكون في آخره.

(٤) (والياسر: الذي يجيلها ويفرقها) أي يحركها ويفرقها عند ضرب الميسر.

(٥) (يشار به العسل) أي يستخرج به العسل.

الـ(مهرّتة): الواسعة الأشداق[١]. والـ(فُوه) جمعه أفواه وفوهاء: للواسع الفم، ومن تخرج أسنانه من شفتيه مع طولها. وصفة ذلك: الفوه بالتحريك. والـ(كالحات): المنكسرات في عبوس. والـ(بسَّل): جمع باسل: وهو الكريه المنظر هنا.

وصف الذئاب بسعة الأشداق، وببروز أنيابها لطولها في شفتيها، وبالعبوس وكراهة المنظر من أجل سعة أفواهها حتىٰ أشبهت أشداقها شقوق العصي في الطول مع التزاق أحد الشقين بالآخر.

(فَضَجَّ وَضَجَّتْ بِالْبَرَاحِ كَأَنَّهَا وَإِيَّاهُ نَوْحٌ فَوْقَ عَلْيَاءَ ثُكَّلُ)

الضجيج: صياح الجازع والمغلوب. و(البراح): الفضاء. والـ(نَّوْح) جمع نائحة. والـ(علياء): المكان العالي. والـ(ثُّكّل)، جمع ثاكل: وهي الفاقد لولدها.

يقول: فصاح الذئب صياح محزون، وصاحت معه النظائر النُّحل في الفضاء في حال كونها وإياه تشبه نساء فاقدات لأولادهن، نائحات عليها، فوق مكان مشرف، وهذا الضجيج غير دعائه وإجابتها؛ لأن ذاك إجابة للصوت من بعيد. وهذا بعد اجتماع، ولذلك رتَّبه علىٰ ما تقدم بالفاء التي تقتضي التَّسبُّب.

(وَأَغْضَىٰ وَأَغْضَتْ وَابْتَسَىٰ وَابْتَسَّتْ بِهِ مَرَامِلُ عَزَّاهَا وَعَزَّتْهُ مُرْمِلُ)

(أغضىٰ)- بالغين والضاد المعجمتين- أدنىٰ الجفن من الجفن. وأغضىٰ الشيء: سكت عنه. و(ابتسىٰ)- بالموحدة التحتية قبل المثناة الفوقية- أنس، كبَسَأَ بزنة: (جعل) و(فرح). وهو في الأصل مهموز فسهل الهمزة ألفًا هنا ضرورة. والـ(مرامل): التي نفذ زادها، واحدها مرمل.

فـ(مرامل) فاعل (ابتست). (ومرمل) فاعل (عزَّاها).

يقول: فأغضىٰ الذئب، وأغضت الذئاب: أي سكتت بعد الصياح مدنية لجفونها، وأنس هو بها، وأنست به، مقفرات من الطعام، صبرها مقفر بها مثلها، وصبرته هي.

ويصح أن يكون (مرامل) خبر مبتدأ محذوف، أي: هي مرامل، وهو أولىٰ لسلامته من وضع الظاهر وضع المضمر، والله سبحانه أعلم.

وأولىٰ من التَّقديرين أن يكون منصوبًا علىٰ الحال من فاعل (ابتست) وهو ضمير الذئاب.

(شَكَا وَشَكَتْ ثُمَّ ارْعَوَىٰ بَعْدُ وَارْعَوَتْ وَلَلصَّبْرُ إِنْ لَمْ يَنْفَعِ الشَّكْوُ أَجْمَلُ)

الـ(ارعواء): النزوع عن الجهل، وحسن الرجوع عنه.

يقال: شكا الذئب للذئاب عند اجتماعهم ما يجده من الجوع والخيبة في الطلب، وشكت هي له

---

(١) قوله رَحِمَهُ اللَّهُ (الـ(مهرّتة): الواسعة الأشداق) **الأشداق جمع شدق، وهو جانب الفم.**

ذلك. ثم نزع عن ذلك بعد، وكفّ وكفت هي أيضًا عن الشكوىٰ، صابرة علىٰ تلك البلوىٰ، و(للصبر) أكثر جمال من الشكوىٰ إن لم يكن لها نفع. والمشاركة بين الصبر والشكوىٰ في الجمال بحسب اعتقاد الشاكي علىٰ ما يقتضيه الطبع، وإلا فلا جمال للجزع والشكوىٰ بالنسبة للصبر، حتىٰ يكون الصبر زائدا عليه بعد المشاركة، نعم قد يكون الجزع في بعض المواطن هو الجميل دون الصبر كفقد الدِّين ومن جاء بالدين، خاتم النبيين، وإمام المرسلين صلىٰ الله وسلم عليه وعليهم أجمعين، فإنه كما قال شاعره حسان بن ثابت رضي الله عنه:

والصبر يحمد في المواطن كلها ... إلا عليك فإنه مذموم

(وَفَاءَ وَفَاءَتْ بَادِرَاتٍ وَكُلُّهَا ... عَلَىٰ نَكَظٍ مِمَّا يُكَاتِمُ مُجْمِلُ)

الفيئة: الرجوع. **والبادر**: الذي بدر غيره علىٰ الأمر: سبقه إليه وعاجله. والـ(نكظ)- بالنون والكاف والظاء المشالة محركة- الجهد والمشقة هنا. **والمكاتمة**: الكتم والكتمان أي: الإخفاء. **والإجمال**: التؤدة والاعتدال في الطلب من غير إفراط.

و(بادرات) منصوب علىٰ الحال من فاعل (فاءت). و(كلّها) مبتدأ خبره (مجْمِل) بسكون الجيم وكسر الميم[1]. و(علىٰ نكظ) حال من الضمير المستتر في الخبر. و(علىٰ) فيه بمعنىٰ (مع) و(ما) في (مما يكاتم) موصول اسمي و(يكاتم) صلته، والعائد محذوف؛ لأنه منصوب بالفعل.

وتقدير البيت: ثم ارعوىٰ وارعوت ورجع عوده علىٰ بدئه، ورجعت هي أيضًا في حال كونها سابقات إلىٰ الفيئة، وكل واحد منها متئد في طلب القوت، معتدلٍ فيه، ليس معه شيء من الإفراط المؤذن بشدة الحرص، مع جهد ومشقة كائن من الذي يخفيه من الجوع الشديد الذي لا يشبه الجوع، وقد قدمنا المثل الذي يُضرب به في جوع الذِّئب، وهو قولهم: (رماه الله بداء الذئب)، ويقولون أيضًا: (هو كالذئب يُغبَط بذي بِطنة وهو جائع). وإذا كان الذِّئب- وهو حيوان أعجم من أحقر الحيوانات علىٰ ما يكابِدُه من التَّعب المفرط من الجوع والحاجة الشَّديدة- ليس بشديد الحرص علىٰ القوت فينبغي للإنسان وهو فاهم عاقل ألَّا يكون شرا من الذئب في ذلك.

---

(١) قولُه: (وخبره مجملٌ بسكون الجيم وكسر الميم) ولم يبين معناها، ومعناها أنه هو الذي يعامل صاحبه بالجميل، يقال: (رجل مجمل) أي: يعامل صاحبه بالجميل.

(وَأَشْـرَبُ آسَـارَ الْقَطَـا الكُـدْرُ[١] بَعْـدَمَا سَـــرَتْ قَرَبًـــا أَحْنَاؤُهَـــا تَتَصَلْصَـــلُ[٢])

الـ(آسار): البقايا، واحدها سور، و(القطا)، كالقطوات، جمع قطاة: وهي طائر معروف: وهي ثلاثة أنواع منها (الكدر). والكدرة: غبرة في الألوان، وقد ذكرنا أنواع القطا مفسرة في «شرح قلائد العقيان» عند قول المعتمد:

بكيت علىٰ سرب القطا إذ مررن بي فقُلْـــتُ ومثلـــي بالبُكـــاء جَـــديرُ

أسِرْبَ القَطا هَل مـن مُعيرٍ جَناحَـهُ لعلّـي إلـىٰ مـن قَـد هَوِيـتُ أطيـرُ

والـ(قرب) بالتحريك: سير الليل لورد الغداة. والـ(أحناء): الأضلاع، والـ(تصلصل): التصويت.

قوله: (أشرب) معطوف علىٰ قوله: (أغدو إلىٰ القوت) والتقدير: وأشرب بقايا الماء الفاضل عن القطا الكدر بعد ورودها، وهو أسبق الطير ورودًا. فشربه آسارها: المراد منه سبقه إليه وتبكيره، وسرعته في السير إليه بحيث لا يسبقه إليه إلا القطا الذي هو أسرع الطير ورودًا؛ إذ لو سبق غير القطا لكان ما يشربه آسار الغير، لأن السؤر يضاف إلىٰ الشارب الأخير.

فتبين مما قررنا به شرب أسار القطا أنه كناية، أرِيد بها لازم معناه من السرعة والسبق إليه مع المعنىٰ أيضًا، وهو سبق القطا إياه إلىٰ الورود، أي: يشرب بعد شرب القطا، بعد سراها- أي القطا- قَرَبًا: أي سيرها الليل لتصبح الماء في حالة تصويت أحنائها في طيرانها إلىٰ الماء، فقوله: (بعدما سرت) ظرف لما دل عليها القطا من شربها.

والتقدير: ويشرب الفاضل عن شرب القطا الكائن ذلك الشرب بعد سرىٰ القطا (قربا)، أي سراها سري قرب.

فقوله: (قربًا) منصوب علىٰ المفعولية المطلقة؛ لأن القَرب نوع من السُّرىٰ باعتبار الحامل عليه.

ووقع في هذا البيت تصحيفٌ فيما بيدي من نسخ القصيدة، فكتب: (وتشرب) بالتاء الموهمة أن الفعل للذئاب، مع أنه له، وذلك يقتضي أن يكتب بالهمزة، ويدل لهذا قوله[٣]:

(هَمَمْـتُ وَهَمَّـتْ وَابْتَـدَرْنَا فَأَسْـدَلَتْ وَشَـــمَّرَ مِنِّـــي فَـــارِطٌ مُتَمَهِّـــلُ)

---

(١) والصحيح في هذا البيت (وَتَشْرَبُ أَسْآرِي الْقَطَا الْكُدْرُ) وهو سينبه إلىٰ ذلك، (أَسْآر) لابد من زيادة ياء الإضافة.

(٢) إذا ضبطنا الأبيات هنا: (وَتَشْرَبُ أَسْآرِي الْقَطَا الْكُدْرُ) أما علىٰ روايته هنا (وَأَشْرَبُ آسَارَ الْقَطَا الْكُدْرُ) هذه الرواية خطأ في ما سينبه عليه هو.

(٣) والصحيح رواية (وَتَشْرَبَ أَسْآرِي)، وسيُبين أنه وهِنَ في ذلك.

فإنه صريح في أنه أدركها عند المنهل قبل ورودها، فابتدر كل منهما إليه، أي: عاجل كل منهما الآخر إلىٰ الورود بعد الهمّ به الكائن من كل منهما.

(فأسدلت) هي: أي أرخت أجنحتها لترد الماء بعد الابتدار، و(شمر) منه هو؛ أي: جد، (فارطٌ): أي سابق متقدم علىٰ الواردين إلىٰ الماء، وهو نفس ذلك الفارط، انتزع من نفسه فارطًا مبالغة في كونه هو فارطًا تنبيهًا علىٰ كمال صفة الفروط فيه، وبلوغها الغاية، حتىٰ ساغ له أن ينتزع منه شخصا موصوفا بمثل تلك الصفة، وهذا الانتزاع يسمىٰ (تجريدا) في عرف أهل البديع، والمقيد له هنا (من) فهي تجريدية، ولا ينحصر ذلك فيها؛ بل قد يكون بالباء التجريدية كقولهم: (لقيتُ في فلانا أسدًا وبحرًا) مثلا، وقد يكون بغير ما ذكر وهو كثير. والـ(متمهل): المتّئد الذي يمشي علىٰ مهل، وهذا يدل علىٰ تشاركهما في الشرب، واتحادهما في زمانه، فلم تسبقه، فلم يرد سؤرها حينئذ إلا أن يقال: شرب السؤر لا يدل علىٰ تقدم المسئر، فإنه قد يتحقق مع الاصطحاب، فإن كلًّا من المصطحبين في الشرب مبقٍ سؤرا: أي بقية، فعودهما للشرب بعد عود للسؤر، أي: عود كل منهما عود لسؤر الآخر، فهو شارب سؤرها، وهي شاربة سؤره.

وقد يقال: يتمخض له شرب السؤر في زمان الاصطحاب أيضًا؛ لقصر زمان شربها، وطول زمان شربه، فيتأخر عنها وإن لم تتقدم عليها. [1]

علىٰ أنَّ قوله- بعد- صريح في تقدمه عليها وهو قوله:

(فَوَلَّيْتُ عَنْهَا وَهْيَ تَكْبُو لِعَقْرِهِ تُبَاشِرُهُ مِنْهَا ذُقُونٌ وَحَوْصَلُ)

إلَّا أن يريد بقوله: (فَوَلَّيْتُ عَنْهَا) لتشرب قبله، ويريد بذلك أنه لم يزاحمها ولم ينفِّرها مع قدرته علىٰ ذلك عملا علىٰ ما تقتضيه مكارم الأخلاق، وهو الأليق بالمقام؛ لأنه في سياق الافتخار، والتمدح بمحاسن الخِلال.

وهذا كله بناء علىٰ أنّ ما سبق إلىٰ الوهم أن اللفظ (أشرب) بصيغة مضارع المتكلم. وبعد كَتْبِي ما تقدم تبين لي أن اللفظ (وَتَشْرَبُ أَسْآرِي) بالتاء في (تَشْرَب) وفاعله (القطا)، و(أساري) مفعول به، وعليه فلا يحتاج إلىٰ تأويل، والله أعلم.

---

(١) قوله في هذا البيت: (وَشَمَّرَ مِنِّي فَارِطٌ) أوضح أن معنىٰ (فارطٌ) أي: سابقٌ متقدِّم، فماذا يشهد له من الحديث النبوي؟ «**أنا فَرَطُكم علىٰ الحوض**» أي: سابقكم إلىٰ الحوض، والمتقدِّم بين أيديكم إلىٰ الحوض.

قوله: (تَكْبُو لِعَقْرِهِ) أي: تَنْكَبُّ على وجهها في عقر البئر، أي: مقام الشاربة من الحوض، أو مؤخره. ومصدر تكبو: الكَبْو بالفتح والسكون، والكُبُوّ بالضمات وتشديد الواو. والـ(ذقون)، جمع ذَقَن بالتحريك: وهو مجتمع اللَّحيين من أسفلهما، وقد تُكسر قافه. وباعتبار ذلك، جمعه على (فعول) وجمعه باعتبار التحريك (أذقان). والحوصل؛ كالحوصلة والحوصلاء.

قال في «القاموس»: أسفل البطن إلى العانة من كلِّ شيء. انتهى. و(حوصل)ـة الطير معلومة تجمع على حواصل.

المعنى: أنه أدبر عنها وتركها منكبة على أذقانها في محل قيام الشاربة من الحوض، أو مؤخره، ومباشِرَة له بأذقانها وحواصلِها.

وجملتا قوله: (تكْبُو لعَقْرِه) و(تُبَاشِرُهُ) منصوبان على الحال من الضمير المجرور بـ(عن)، أو الثانية حال من فاعل (تكبُو)، وعلى كل من التقديرين: فالجملة الثانية مفسِّرة للأولى، لأن الكَبْو: الانكباب على الوجه، ولا يُتصور بدون مباشرة الأذقان والحواصل الأرض.

(كَأَنَّ وَغَاهَا حُجْرَتَيْهِ وَجَالَهُ أَضَامِيمُ مِنْ سَفْرِ الْقَبَائِلِ نُزَّلُ)

الـ(وغى): الصوت. **والحُجْرة**- بضم الحاء وسكون الجيم- ما يمسك الماء من شفة الحوض هنا. والـ(جال) بالجيم- جانب البئر وناحيتها، كالجُول بالضم. والـ(أضاميم) جمع إضْمامة- بكسر الهمزة- وهي الجماعة من الناس. فوزن أضاميم إذا (فعاليل). والـ(سَّفْر): جماعة المسافرين.

يقول: كأنّ أصوات القطا الواردة الكائنة في الموضعين اللذين يمسكان ماء الحوض المخرج من قعره، وفي جانبه وناحيته، لفظ جماعات كائنات من مسافري قبائل شتى في وقت النزول. ووجه الشبه: الاختلاط، والاختلاف، وعدم التبين مع التواتر.

قوله: (حجرتيه) منصوب على الظرفية المكانية. و(جاله) معطوفة عليه، و(أضاميم) على حذف مضاف؛ أي: صوت أضاميم، و(نُزَّل) من سفر القبائل نعت للأضاميم وفي اعتبار وصف الدال على الحدث، اعتبار لزمان حدوثه، فلذلك ما قلت في التقدير وقت النزول.

(تَوَافَيْنَ مِنْ شَتَّى إِلَيْهِ فَضَمَّهَا كَمَا ضَمَّ أَذْوَادَ الْأَصَارِيمِ مَنْهَلُ)

توافوا: تتامُّوا. والـ(أذواد)- بإعجام الأولى وإهمال الثانية- جمع ذَود بالفتح، وفي كونه جمعًا لا واحد له، أو واحدا خلاف. والذود: ثلاثة أبعرة إلى العشرة، أو إلى خمسة عشر، أو عشرين، أو ثلاثين، أو ما بين الثنتين والتسع، أو لا يكون إلا من الإناث، أقوال. و(الأصاريم) جمع أصرام، جمع صِرم

بالكسر: وهو الجماعة، والـ(منهل): الغدير.

يقول: انتهىٰ -يعني القطا- إلىٰ البئر مجتمعين عنده، فحازها كما حاز مَنْهَلٌ إبلا كثيرة لأحياء كثيرة.

وقوله: (من شتىٰ): أي من جهات مفترقة متعددة، والمراد كثرة القطا الواردة عند البئر، ككثرة الأذواد الموصوفة عند المنهل.

(فَعَبَّتْ غِشَاشًا ثُمَّ وَلَّتْ كَأَنَّهَا مَعَ الصُّبْحِ رَكْبٌ مِنْ أُحَاظَةَ مُجْفِلُ)

العبّ: الجَرْعُ[1]. والـ(غِشاش)- بالغين المعجمة مكسورة وشينين معجمتين بينهما ألف- الشراب القليل أو العجل، أو غير المروي. والـ(رَّكْب): جماعة راكبي الإبل، واحدهم راكب. و(أُحاظة)- بضم الهمزة وبالواو والمضمومة أيضًا بعدها حاء مهملة مفتوحة فألف فظاء مشالة- مدينة باليمن وأرض ينسب إليها مخلاف[2]. والـ(مجفل): المنهزم.

يقول: فجرعت جرعا قليلا علىٰ عجل، أو غير مرو، ثم أدبرت راجعة إلىٰ مفاحصها[3] في حال كونها يشبهها عند الصبح ركب منهزم كائن من أحاظة.

المعنىٰ: أنها أدبرت راجعة مسرعة في الطيران، إسراع الركب المنهزم.

والغرض من تشبيهها بالركب المُجفل بيان حالها في توليتها ورجوعها، لا بيان مقدار الحال الذي هو السرعة. حتىٰ يقال: إنَّ مقدار الطَّيران فوق مقدار العدو في السرعة.

(وَآلَفُ وَجْهَ الْأَرْضِ عِنْدَ افْتِرَاشِهَا بِأَهْدَأَ تُنْئِيهِ سَنَاسِنُ قُحَّلُ)

(آلَفُ)- بالفتح- مضارع ألفته، كعلمته: حصلت بيني وبينه ألفة: أي ملائمة. **وافتراش الأرض**: اتخاذها فراشًا، بأن يضجع عليها من غير حائل بينهما. والـ(أهدأ)- بالهمزة- اسم هدئ كفرِح: أي انحنىٰ. يقال: أهدأه الكِبر. و(تُنئيه)، مضارع أناته: أي أبعدته. ويروىٰ (**تُثْنِيه**). والـ(سَنَاسِن) جمع سِنْسَن وسِنْسَنة بالكسر فيهما: حروف فَقار الظَّهر[4] هنا، والـ(قُحَّل): جمع قاحل: وهو اليابس.

---

(١) قوله رَحِمَهُ اللَّهُ (**العبّ: الجرع**) يراد بالجرع الشرب بدون مص، فهي تعبٌّ بلا مصٍ.

(٢) قولُه: (**وأرض ينسب إليها مخلاف**) **المخلاف من اليمن كالإقليم من غيره**، فإن اليمن تقسم إلىٰ مخاليف، ووُحاظة بالواو كما تجيء اسم مدينة باليمن فإنها تجيء اسمًا لبطن من حِمْير، قوم من أهل اليمن. فوُحاظة بالواو تقع اسما المدينة والقوم، أما بالهمزة فهي اسم المدينة.

(٣) قولُه: (**مفاحصها**) تعني أعشاشها.

(٤) (**حروف فقار الظهر**) أي: مغارز رؤوس الأضلاع في الظهر.

وصف نفسه بالارتياض بالمقاساة للمشقات[1] حتىٰ ألفها فلم يجد لها كبير ألم بعد، فأخبر عن نفسه انه يفترش الأرض فيضطجع عليها بمنكب منحني من الكبر أو من مقاساة الأهوال والشدائد. أبعدت ذلك الأهدأ عن الأرض حروف فقار الظهر اليابسة من الكبر، فلا يجد لقساوة الأرض ألما عندما يفترشها ليُبْسِ ما يباشرها من أضلاعه وفَقَاره التي أبعدت عن الأرض ما يحس بها من منكبه.

قوله: (عند افتراشها) فيه إضافة المصدر إلىٰ المفعول به. و(بأهدأ) متعلق (بافتراش). و(تنئيه) نعت لـ(أهدأ).

وتقدير البيت: وآلف وجه الأرض أي: لا أتألم به عند افتراشي إياها، أي: اضطجاعي عليها، بمكنب أو جنب منحنٍ مبعد عن الأرض بأضلاع يابسة.

وقوله: (وآلف) معطوف علىٰ قوله: (وأغدو) كقوله: (أشرب). وكذا قوله:

(وَأَعْدِلُ مَنْحُوضًا كَأَنَّ فُصُوصَهُ كِعَابٌ دَحَاهَا لَاعِبٌ فَهْيَ مُثَّلُ)

(أعدِلُ)-بالكسر-مضارع عدلته بالفتح-أي: أقمته، والـ(منحوض): المهزول. وموصوفه محذوف، أي: ذراعًا منحوضًا. والـ(فصوص) جمع فصٍّ: وهو ملتقىٰ كل عظمين. والـ(كِعاب)، جمع كعبٌ، وهو عظم ناشز في كل من جانبي القدم، ودحو الكِعاب: الرمي بها؛ لأن في ذلك بسطًا لها، الذي هو معنىٰ الدَّحو، والمثل جمع الماثل أي: منتصب.

يقول: وأنصب ذراعًا مهزولًا تشبه مواصِلُ عظامه كعابًا رمىٰ بها علىٰ الأرض شخص لاعب بها؛ فهي لأجل ذلك مُنتصبة قائمة.

فالغرض من التشبيه هنا بيان مِقدار هزال الذِّراع، فإنه أفاد أن ذلك في الغاية، وإنما يعدل المنحوض ليتوسده.

والمعنىٰ: أنه يفترش الأرض، ويتوسّد ذراعه المهزول كما قال غيره:

يا رُبَّ سَارٍ باتَ ما توسَّدَا إلَّا ذراع العِيسِ أو عَظْمَ اليَدَا.

(فَإِنْ تَبْتَئِسْ بِالشَّنْفَرَىٰ أُمُّ قَسْطَلٍ لَمَا اغْتَبَطَتْ بِالشَّنْفَرَىٰ قَبْلُ أَطْوَلُ)

ابتأس: حزن، و(الشَّنْفَرَىٰ): لقبه. واسمه عمرو بن برّاك الأزْدي، و(أم قسطل)- بالسين والصاد أيضًا- كنية الداهية، وأي: داهية أعظم من الحرب، ومن الحرب يتولد الغبار: وهو القسطل. **والاغتباط**:

---

(١) (**والمقاساة للمشقات**) المقاساة تاؤها مربوطة، قاس، يقاس، مقاساةً.

السرور.

يقول: إنه مسعر حرب، ومنجدٌ للدواهي على قتل الأبطال، فإن مات ابتأست به الدواهي والحروب، وحزنت عليه، كما كانت تسرّ به، على أن زمان اغتباطها به أطول. وقوله هذا تعزية لها، والتعزية في الحقيقة لنفسه.

المعنى: أنه إن قدر موته وابتأس منه ما ذُكر به، فلم يكن ذلك إلا بعد أن أمات كثيرا، وأوقد نيران الحروب زمانًا طويلا، وفي ذلك اغتباط الدواهي وسرورها، فلم يفتْه شيء تحب لأجله الحياة، إذ ذاك غاية ما كانوا يطلبون الحياة له، كما قال قَطَري[1] بن الفجاءة:

فإن أمت حتف أنفي لا أمت كمدا ... على الطعان وقصر العاجز الكمَدُ

ولم أقل: لم أُساقِ الموت شاربُه ... في كأسه والمنايا شُرَّعٌ وُرُدُ

(طَرِيدُ جِنَايَاتٍ تَيَاسَرْنَ لَحْمَهُ ... عَقِيرَتُهُ لِأَيِّهِمَا حُمَّ أَوَّلُ)

الـ(طريد): المطرود: المبعد. وإضافته للـ(جنايات)، جمع جناية مجاز. بمعنى أنها سبب طرده. والـ(تياسر): المقارعة بقداح الميسر، وهو مجاز عن الاستحقاق، وإسناده إلى ضمير الجنايات مجاز أيضًا؛ لأن المتياسر أي: في الحقيقة المجني عليهم، والجنايات سببه، ومع ذلك فهو تمثيلٌ لاستحقاق المجني عليهم دمَه على سبيل الاستعارة.

وبيان ذلك أنه شبَّه حال نفسه من حيث أنه مطلوب الدَّم، مطلوله[2] في الجزور المعين للنحر بالمقارعة عليه بالسهام المسمى تياسرًا، ثم استعار لفظ المشبه به-وهو مركب- للمشبه. وما كان مثله من المجاز -أي: مركبًا - سمِّي تمثيلا على سبيل الاستعارة، إن لوحظ فيه التشبيه كما هنا.

والـ(عقيرة) بمعنى المعقورة. والعقر: الجرح، ويعني بها ذاته. و(حمّ): قُدّر.

وقوله: (طريد جنايات) خبر مبتدأ محذوف، أي: هو مطرود جنايات؛ أي: مبعد عن عشيرته بسبب جناياته الكثيرة التي هي سببٌ في استحقاق المجني عليهم -وهم كثيرون- دمه، كاستحقاق الجزور المتياسرون عليها. فذاته لأجل ذلك أول الذوات عقرا لأي الجنايات قدِّر.

---

(١) انسب إلى قطر، أقول: انسب إلى قطر: (قَطَري)، قَطَريُّ بن الفجاءة. فجاءة أمه.

(٢) (مطلوب الدم مطلوله) **مطلوله يعني مهدر الدم**، إذا قيل: (رجل مطلول) يعني مهدر الدم، وإذا قيل: (زهر مطلول) فالمراد أصابه الطَّل وهو الندى، **فالدم المطلول يعني المهدر**.

والمعنىٰ: أنه بمثابة الصيد الذي يعقره من أمكنه عقره من الطالبين له. فالطالبون له من أهل الجنايات؛ كالمتصيدين، فمن ظفر به منهم قتله إن قدر عليه.

وجملة (هو طريد جنايات) مستأنفة لبيان حاله، فلا محل لها من الإعراب.

(تَنَامُ إِذَا مَا نَامَ يَقْظَىٰ عُيُونُهَا حِثَاثًا إِلَىٰ مَكْرُوهِهِ تَتَغَلْغَلُ)

الـ(يقظىٰ): المتنبهة، وهي أنثىٰ اليقظان. والـ(حثاث) -بالفتح ويكسر- الغمض كالقرار، وحكىٰ مالك بن المرحَّل في نظم «الفصيح»[1] خلافًا في الأفصح من الفتح والكسر ونصه:

ومثله الحثاث وهو يفتح وقيل: إن الكسر فيه أفصح

و(مكروهه): ما يكرهه. **وتغلغل**: أسرع.

قوله: (يقظىٰ عيونها) فاعل (تَنَامُ) وفاعل (نام) ضمير الشَّنْفَرَىٰ . و(حثاثا) منصوب علىٰ المفعولية المطلقة لـ(تنام). و(إلىٰ مكروهِه) متعلق بـ(تتغلغل).

والمعنىٰ: تنام أعين الجنايات اليقظىٰ غماضًا إذا ما نام هو، أي غفل عنها.

بمعنىٰ أنها لا تغفل عنه لحظة، وما يظن من ذلك غفلة، فهو حيلة ومكر، كمن يغمض عينيه يُري الناس أنه نائم، وما به من نوم، يريد انتهاز الفرصة إذا أمكنته. فهي تسرع إلىٰ ما هو مكروه له، وإن رئيت ساكنة، ومن هنا قالوا: (الدمُ لا ينام).

وقد أفهم قول: (تنام يقظىٰ عيونها [حثاثًا]): أنها طالبة له، غير غافلة عنه. فجاء قوله: (إلىٰ مكروهه تتغلغل) مؤكدا بذلك ويسمىٰ ذلك تذييلا، وقد شرحناه غير مرة. فالجملة المؤكد مضمونها ما قبلها- منطوقًا أو مفهومًا- لا محل لها من الإعراب.

(وَإِلْفُ هُمُومٍ مَا تَزَالُ تَعُودُهُ عِيَادَ الحَمِيِّ الرِّبْعِ أَوْ هِيَ أَثْقَلُ)

(الحمي): فعيل. بمعنىٰ مفعول: هو الذي أصابته الحمىٰ. و(الرِّبع)- بالكسر هنا- الحُمىٰ التي تخلىٰ عن صاحبها يومين، ثم تخشاه بعدهما، فيكون يومها رابعا ليومها قبله. و(الحمي) مجرور بإضافة (عياد) إليه، وهو مصدر عاد المريض يعوده. و(الرِّبع) -بالرفع-فاعل المصدر، وروي (بنصب الحمي)، وجر (الرّبع) بإضافة المصدر المفصول من المضاف إليه بالمفعول، فيكون نظير قول الله سبحانه ﴿ قَتْلَ أَوْلَدَهُمْ شُرَكَآيِهِمْ﴾ [الأنعام:١٣٧] بنصب ﴿أَوْلَدَهَمْ ﴾ بـ﴿ قَتْلَ﴾ وجر ﴿شُرَكَآيِهِمْ﴾ بإضافته.

ومعنىٰ البيت: هو طريد جنايات ومؤالف هموم لا تغيب عنه غيبة انقطاع، فهي تترد إليه كما تترد

(١) النظم الفصيح الذي هو «موطأة الفصيح».

حمىٰ الربع إلىٰ المحموم؛ بل الهموم أكثر ثقلا من الحمىٰ المذكورة.

(إِذَا وَرَدَتْ أَصْــدَرْتُهَا ثُــمَّ إِنَّهَــا   تَثُــوبُ فَتَــأْتِي مِــنْ تُحَيْــتٍ وَمِــنْ عَــلُ)

الورود: الحضور بعد الغيبة. **والإصدار:** والرد.

يقول: إذا حضرتني الهموم ردتها: أي فرجتها عن نفسي، وهونت أمرها علي، ثم إنها (تثوب)-بالمثلثة- أي: تعود، وترجع أعظم مما أصدرتها، فتأتيني من أسفل ومن فوق.

(فَإِمَّــا تَرَيْنِــي كَابْنَــةِ الرَّمْــلِ ضَــاحِيًا   عَلَــىٰ رِقَّــةٍ أَحْفَــىٰ وَلَا أَتَنَعَّــلُ)

(ابنة الرمل): البقرة الوحشية. والـ(ضّاحي): البارز للشمس[1]. والـ(رقة): خلاف الغلظة، والرقة في القدم: أن يرق أسفله حتىٰ يؤلمه المشي، ويسمىٰ لذلك (حفىٰ) بالقصر، مصدر حفي الحيوان بالكسر، لذلك المعنىٰ. وأما المشي بلا نعل (فحفاء) بالمد، وهو أيضًا مصدر حفي بالكسر، وأحفىٰ مضارعه، أي: أمشي بغير نعل. والتنعّل: تكلف لبس النعال.

يقول: مخاطبا لمؤنث: فإن تريني مثل البقرة أو الظَّبية في حال كوني بارزا للشمس، وفي حال كوني أمشي بغير نعل، مع رقة في قدمي يؤلمني المشي بسببها، ولا أتكلف مع ذلك لبس النعال.

وجواب الشرط في قوله:

(فَــإِنِّي لَمَــوْلَىٰ الصَّــبْرِ أَجْتَــابُ بَــزَّهُ   عَلَىٰ مِثْـلِ قَلْـبِ السِّـمْعِ وَالْحَـزْمِ أَفْعَـلُ)

(مولىٰ الصبر): وليه وحليفه. **واجتياب البز**-أي السلاح هنا-: لبسه، كاجتياب القميص. و(السِّمع) -بالكسر والعين المهملة- ولد الذئب من الضبع، وهو أخبث حيوان يضرب به المثل في شدة العدو، وفي شدة السمع فيقولون: (أسمع من سِمع) و(من السمع الأزل). من الأول قول الشنفرىٰ هذا في مرثية خاله تأبّط شرًّا:

مســبَّلٌ في الحــي أحــوىٰ رفــل   وإذا يغــــزو فسِــــمْعٌ أزَلُّ

و(الحزم): الضبط، والأخذ في الأمور بالأحوط، وهو منصوب مفعول مقدم بـ(أفعل) مضارع (فعلت).

والمعنىٰ: إن تريني كما ذكر فإني لحليف الصبر، أي: ملازمه، في حال كوني ألبس سلاحه علىٰ قلب مماثل لقلب ولد الذئب الذي أمّه ضبع، وناهيك بقوته وجرأته، وأفعل الحزم في الأمور، وأحتاط فيها، فلا تفريط عندي ولا إضاعة.

---

(١)وقيل: (ابنة الرمل) وهي: الحية؛ لأنها تكون فيها. وهذا أقوىٰ.

(وَأُعْـــدِمُ أَحْيَانًـــا وَأَغْنَـــىٰ وَإِنَّمَـــا يَنَـــالُ الْغِنَـــىٰ ذُو الْبُعْـــدَةِ الْمُتَبَـــذِّلُ)

الإعدام: الافتقار. (وأغنىٰ) -بالفتح-مضارع (غني) بالكسر بمعنىٰ: استغنىٰ، و(البُعدة) -بالضم كالرحلة-: السَّفرة. و(المتبذّل): الذي يتكلف ابتذال نفسه: أي امتهانها.

يقول: أفعل الحزم، وافتقر أزمنة الدهر، واستغني كذلك، وما يدرك الغنىٰ إلا صاحب السفر الذي يتكلف امتهان نفسه بالاغتراب عن الأهل، وقطع المفاوز والقِفاز. وفي هذا الحث علىٰ استعمال الأسفار والتحذير من ملازمة القرار، فإنه عين الافتقار.

(فَـــلَا جَـــزِعٌ مِـــنْ خَلَّـــةٍ مُتَكَشِّـــفٌ وَلَا مَـــرِحٌ تَحْـــتَ الْغِنَـــىٰ أَتَخَيَّـــلُ)

الـ(جزِع) -بنزة الفرح- الذي جزع بالكسر: أي ذهب صبره، والمصدر (الجزع) بالتحريك. والـ(خلة) -بفتح الخاء المعجمة-الحاجة والفقر. والـ(متكشف): المظهر لحاجته. **والمتخيل**: المظهر الخيلاء.

قوله: (جزع) خبر مبتدأ محذوف، أي: فلا أنا فاق الصبر من أجل احتياج عرض لي، مظهر لاحتياجي، (ولا) أنا (مرح)، أي ذو مرح- بالتحريك- أي بطر. وهو الخروج عما تقتضيه النعم من الشكر عليها لعدم احتمال النفس لذلك.

فقوله: (تَحْتَ الْغِنَىٰ أَتَخَيَّلُ) منصوب علىٰ الحال من (مرح) وهذه من الأحوال اللازمة للمدح. والمعنىٰ: ولست بمرح في حال كوني مختالا تحت الغنىٰ، أي: لأجله، وهذا معنىٰ مطروق جدًّا.

وحاصله أن الدهر يومان، يوم له ، ويوم عليه، فإن كان عليه لم يضجر، وإن كان له لم يبطر، لاعتياده بكل من نعيمه وبؤسه، وسعته وضيقه، وشدته ورخائه، فهو مهذب مجرب كالجُذَيْل المحكَّك، والعُذَيْق المرجَّب. (١)

(وَلَا تَزْدَهِـي الْأَجْهَـالُ حِلْمِـي وَلَا أُرَىٰ سَـــؤُولًا بِأَعْقَـــابِ الْأَقَاوِيـــلِ أَنْمُـــلُ)

---

(١) هذا مثل عند العرب يقولون: (**فلان جُذَيلها المُحكَّك وعُذَيْقُها المرجّب**) والجذيل تصغير جِذْل، **والجِذْل اسمٌ للعمود الذي ينصب فتحتكّ عليه الإبل**، فيسمىٰ (جذل) وتصغيره (جذيل) فهو محكك محلٌّ للحك، فيفي بحاجة الإبل في هذا، فمثل هذا لا يقوم به إلا عظيم، **وعذيقها المرجّب**، العُذَيق تصغيره عَذق، والعذق هو اسم للنخلة أو لـلقِنْو الذي يكون فيه ثَمَرها، ومعنىٰ المرجَّب منسوب إلىٰ الرّجبة، والرُّجبة شبيه بالعمود الذي يُسْنِدُ النخلة لـئلا تسقط لكثرة ما فيها من الثمر، فالمقصود أنه يقوم بمقام ما يقوم به العظيم كما في هذه المثَلَيْن.

الـ(حلم): الأناة،[1] وازدهاؤه: استخفافه. و(الأجهال): جمع جهل، و(أرىٰ): مبني لما يسم فاعله، أي: لا أُوجد ولا أُلقىٰ سؤولا. والـ(سؤول): الذي يكثر السؤال، و(الأقاويل): جمع أقوال، جمع قول. و(أنْمُل) -بالضم- مضارع (نمل) بالفتح.

ثم يقول: لا تستخف الأجهال علي حلمي، ولا تحرك سكوني، ولا يلفيني أحد مكثرا لسؤال الناس في حال كوني أَنُمُّ[2] بأعقاب الأقاويل: أي أواخرها. أي أنفلها إلىٰ الغير علىٰ وجهة الإفساد بينه وبين من نسبة له. وسميت هذه الأقاويل أعقابا لتأخرها عن الاعتبار، والاعتداد بها عن ذوي الهمم والله أعلم. أو لأن الذي يحفظ وينقل هو أخر ما يقال في الغالب. فباء (بأعقاب) متعلقة بـ(أنمل) علىٰ ما قدرنا.

(وَلَيْلَةِ نَحْسٍ يَصْطَلِي الْقَوْسَ رَبُّهَا   وَأَقْطُعَهُ اللَّاتِي بِهَا يَتَنَبَّلُ)

الـ(نحس) هنا: الشؤم والشدة. **والاصطلاء**: التسخن بالنار. واصطلاء القوس: اصطلاء النار التي أوقدت بالقوس. والـ(أقطع): جمع قِطع -بالكسر- وهو هنا السهم والـ(تنبُّل): تكلف الرمي بالنبل، ولا واحد للنبل من لفظه، وقيل: واحده نَبْلَة.

والتقدير: ورب ليلة شؤم، وشدة برد، موصوفة بما ذُكر من الاصطلاء بالنار الموقدة بأعواد القوس التي لا غنىٰ لصاحبها عنها، لعدم ما يوقد به النار سواها وسوىٰ سهامها التي يتكلف الرمي بها نبالا.

ويصح -وهو الأولىٰ إن شاء الله- أن يكون معنىٰ (يتنبل) يصير نبيلا، صاحب نبل- بالضم- أي ذكاء وحذقا. ولا شك أن إجادة الرمي بالقوس من أمثل ما يدخل به الإنسان في زمرة النبلاء كالفروسية والسباحة.

قوله: (وليلة) مخفوض بـ(ربُّ) المقدرة بعد الواو، ومع ذلك فهو مرفوع، لأن (رب) حرف زائد يدخل علىٰ المبتدأ، وجملة (يصطلي) صفة (ليلة). وخبر مبتدأ في قوله:

---

(١) قوله ﷺ تعالىٰ: (الـ(حلم): الأناة) يخالف حديثًا نبويًّا تحفظونه، وهو قوله ﷺ في حديث ابن عباس في الصحيح لأشج عبد القيس: «**إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة**» إذًا يكون واحد أم يكون شيئين مختلفين؟ شيئين مختلفين؛ لأن العطف يدل علىٰ المغايرة، فلا يفسّر حينئذ الحلم بالأناة، فما الفرق بينهما؟

قلنا لكم فيما سلف: **الأناة: سكون في مقابل ما يثير. والحلم: سكون مُطلق.**

فمثلًا إذا استغضب الإنسان ثم سكن يوصف بـ(الأناة)؛ لأن في مقابل ما يثير، وأما (الحلم) فهو سكون مطلق سواء في مقابل ما يثير أو في دون مقابله فهو أعم.

(٢) (في حال كوني أنمّ) أي: أنقل الكلام علىٰ جهة الإفساد.

(دَعَسْتُ عَلَىٰ غَطْشٍ وَبَغْشٍ وَصُحْبَتِي سُعَارٌ وَإِرْزِيزٌ وَوَجْرٌ وَأَفْكَلُ)

الـ(دعس) هنا: شدة الوطء. والـ(غطش) -بالغين المعجمة-: الظلام. والـ(بغش) -بالغين والشين المعجمتين بعد الموحدة التحتية-: المطر الخفيف. والـ(صُّحبة)-بالضم-الصحابة، الواحد صاحب، والـ(سُّعار)-بالضم-: حر الجوع. والـ(إرزيز)-بكسر الهمزة فراء ساكنة فزاءين بينهما ياء-: تكمُّش من البرد. والـ(وجَر) -بفتح الجيم بين الواو والراء-: الوجل. والـ(أفكل) -بفتح الهمزة فسكون الفاء-: الرعدة من خوف أو بردٍ ونحوه.

يقول: ورب ليلة نحس سريت فيها، واطئا الأرض بشدة مع ظلام ومطر. وصحابة - أي الملازمون لي في سراي- جوع شديد، وبرد شديد، وخوف ورعدة منه ومن البرد.

فجملة (وَصُحْبَتِي) في محل نصب علىٰ الحال من الفاعل. و(علىٰ) في (عَلَىٰ غَطْشٍ) بمعنىٰ (مع).

(فَأَيَّمْتُ نِسْوَانًا وَأَيْتَمْتُ إِلْدَةً وَعُدْتُ كَمَا أَبْدَأْتُ وَاللَّيْلُ أَلْيَلُ)

تأييم النسوة: تصييرهن أيامىٰ، **والأيِّم**: التي لا زوج لها. كما أن **الإيتام**: تصيير الـ(إلدة) يتامىٰ. وهمزة الإلدة أصلها واو. **والعود**: الرجوع، ضد البدء، **والإبداء أيضا**: بدأ الشيء وبدأه كابتدائه، فَعَلَه: ابتداءً. (والليل) الـ(أليل): الطويل، كاليوم الأيوم مبالغة في الطُّول، وهكذا كل وصف لشيء من لفظه.

وقوله: (فَأَيَّمْتُ) معطوف علىٰ قوله: (دَعَسْتُ) مسبب عنه؛ أي: سريت مصاحبا لما ذكر، فتسبب عن ذلك تأييمي نسوانا كثيرة بقتل أزواجهن. وإيتامي أولادا كثيرين بقتل آبائهم، ورجعت سالما إلىٰ محلي، عن الحالة التي أبدأت السرىٰ بها، والليل طويل جدا، أي بقي منه بعد عودي كثير.

والمعنىٰ: أنه فعل ما فعل في بعض الليل، وهو وسطه مثلا، وفضل منه عن سراه كثير.

(وَأَصْبَحَ عَنِّي بِالْغُمَيْصَاءِ جَالِسًا فَرِيقَانِ: مَسْؤُولٌ وَآخَرُ يَسْأَلُ)

(الغُميصاء) -بالغين المعجمة مصغرا ممدودا- موضع أوقع فيه خالد بن الوليد ﷺ ببني جَذيمة إثر فتح مكة. و(فَرِيقَانِ): تثنيه فريق، بمعنىٰ مفارق لغيره، وهو اسم أصبح، و(جَالِسًا): خبرها، وأفرده. ولم يقل: جالسين ليطابق (فَرِيقَانِ) لفظًا، لأن (فَرِيقَانِ) في معنىٰ جمع مختلف. و(مَسْؤُولٌ) خبر مبتدأ محذوف، أي: فريق مسؤول والآخر يسأل، وهذا تفصيل لإجمال (فَرِيقَانِ) ، وأهل المعاني والبديع يسمون مثل هذا المثنىٰ المفسر باسمين علىٰ إثره في آخر الكلام **توشيعًا**، وهو في اللغة: لف القطن المندوف، ووجهه أن المثنىٰ -وهو لفظ واحد- لما كان معناه متعدِّدا، كان كلف القطن بعد ندفه. و(عن) في (عَنِّي) معناها التعليل، وليست متعلقة بـ(مَسْؤُولٌ) و(يَسْأَلُ) حتىٰ يكون المعنىٰ: فريق

مسؤول عني، وفريق سائل عني، لأن المسؤول عنه مبهم، غير معين، بدليل السياق، وتعلقه به يقتضي أن يكون صورة سؤالهم هكذا: أفعل الشَّنْفَرَىٰ ؟ أو الشَّنْفَرَىٰ فعل هذا؟ وما أشبه ذلك.
ولا يلزم من كون الجلوس في الغميصاء لأجله أن يكون معينا عندهم حتىٰ يقال هذا أيضًا لازم في جعلها للتعليل، لأنّا نقول: قوله: (عَنِّي) لأجلي، معناه أن الجلوس سببه فعلته هو وسراه في نفس الأمر، ولم يعلموا به، ولم يطلعوا علىٰ ما في الأمر من ذلك، فجلسوا مستكشفين علىٰ ما كان.

ومعنىٰ البيت: وأصبح لأجل فعلتي المنكرة في الغميصاء جمع مختلف جالسًا بعضهم مسؤول وبعضهم يسأله. ورؤية ما تكرهه قوله:

(فَقَالُوا: لَقَدْ هَرَّتْ بِلَيْلٍ كِلَابُنَا ... فَقُلْنَا: أَذِئْبٌ عَسَّ أَمْ عَسَّ فُرْعُلُ)

معناه ما قدمناه من جلوسهم للتحدث، والاستخبار عما كان بسبب سراه. أي: فقالوا جميعا، -أو من قال منهم-: لقد هرت كلابنا في الليل هريرا مرددا لم نعلم سببه، فقلنا جميعا -بمعنىٰ أن بعضهم قاله لبعض- فالفاعل السائل، والمفعول له المسؤول: (أذئب عس)؟ أي سرىٰ طالبا، (أم عس فرعل)؟ وهو ولد الضبع. وهذا حكاية لقولهم عند سماعهم الهرير: وهو صوتٌ دون نباح لبرد أو غيره بحسب اعتقادهم، وهو أن سببه أحد أمرين: عس الذئب أو الفرعل من غير قطع بأحدهما.

(فَلَمْ تَكُ إِلَّا نَبْأَةٌ ثُمَّ هَوَّمَتْ ... فَقُلْنَا: قَطَاةٌ رِيعَ أَمْ رِيعَ أَجْدَلُ)

الـ(نبأة) هنا: صوت الكلاب، أو صوت منبترٌ[1] لا مادة له، وكذلك أصوات الكلاب. **والتهويم**: هز الرؤوس من النعاس. و(ريع): أصابه روع: أي فزع. والأجدل: الصقر.

قوله: (نبأة) يروىٰ بالرفع علىٰ أن (يك) تامة، وبالنصب علىٰ أنها ناقصة، والاسم حينئذ ضمير هرير.

والمعنىٰ أنهم قالوا في تمام الحكاية: فلم يكن هرير الذي سمعناه إلا خفيًّا؛ أي: لم يَقْوَ ولم يدم. ثم نامت الكلاب بعده، فتغير اعتقادنا أن سببه ما تقدّم، معتقدين أن سببه خلاف ذلك. فقلنا لمّا هوَّمت علىٰ حسب اعتقادنا أيضًا، وإن لم يكن مطابقا أيضًا-: أقطاة حصل لها روع فطارت؟ أم صقر هو الذي أفزع فطار؟ فهرت الكلاب فانقطع ذلك، فانقطع هريرها، إذ لو كان سببه اعتساس الذئب أو الفرعل لدام، لأن الهرير بحسب موجبه في القوة والضعف، وطيران القطاة والأجدل عند الروع أضعف من حركة الذئب والفرعل في الاعتساس. فالهرير الذي يترتب علىٰ الأول أضعف من الذي يترتب علىٰ الثاني.

---

(١) (منبترٌ) أي منقطع.

والحاصل أنه يستدل بصفة الهرير عن سببه، ولما تبين لهم عدم مطابقة اعتقادهم الثاني أيضًا من كون الهرير لقطاة أو أجدل[١] ريع، قالوا: ما حكاه هو عنهم بقوله:

(فَإِنْ يَكُ مِنْ جِنٍّ لَأَبْرَحُ طَارِقًا وَإِنْ يَكُ إِنْسًا مَا كَهَا الْإِنْسُ تَفْعَلُ)

(أبرح) فعل ماض فاعله ضمير الطارق المدلول عليه. بما تقدم. ومعنىٰ أبرح: أتىٰ بالبرْح - بالسكون- أي الشدة. والـ(طارق): الآتي ليلا، و(كها) جار ومجرور وهو ضمير الفعلة المفهومة من سياق الكلام. وجر الضمير بالكاف شاذٌّ منه قول العجاج:

حَلَّىٰ الذَّناباتِ شمالًا كثبًا وأمُّ أوعال كها أو أقربا

قوله: (فإن يك) حرف شرط، وفعله وهو مضارع (كان) الناقصة، واسمه ضمير يعود علىٰ الطارق. و(مِنْ جِنٍّ) خبر (يك) و(لأبرح) جواب الشرط. و(طارقا) حال من فاعل (أبرح) وقوله: (ما كها) جواب قوله: (وَإِنْ يَكُ إِنْسًا)، جرَّده ممّا يستحقه من الفاء ضرورة. ونظيره قول حسان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

من يفعل الحسنات لله يشكرها والشر بالشر عند الله مثلان

وحل البيت: فإن يكن الطارق من جن، ومَن يُحلف به[٢] لأتىٰ بأمر عظيم، وداهية دهياء مع قلة زمانه، وخفاء مكانه، بحيث ظنَّ ذئبا أو فرعلا اعتس، ثم ظن قطاة أو أجدل حصل له روع، وإن يكن الطارق إنسًا فما مثل هذه الفعلة تفعل الإنس، فقد خرج عن نظائره من الإنس بفعلته المنكرة المقررة. وهذا يدلُّك علىٰ ما قررناه من كون المسؤول عنه منهما مطلوب التصوُّر لا معيَّنًا مشكوكا فيما نسب إليه. ويسمىٰ الأول تصورا، والثاني تصديقا.

هذا و(الْإِنْسُ) فاعل فعل مقدّر دل عليه المؤخر فهو من الاشتغال في المرفوع نظير قوله سبحانه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ [التوبة:٦].[٣]

(وَيَوْمٍ مِنَ الشِّعْرَىٰ يَذُوبُ لُؤَابُهُ أَفَاعِيهِ فِي رَمْضَائِهِ تَتَمَلْمَلُ)

(الشِّعرىٰ): نجم ، وهما شِعْرَيَان[٤]: العبور وهي المرادة هنا، سميت بذلك لأنها عبرت نهر

---

(١) (الأجدل) الصقر.

(٢) (من يُحلف به) يعني قسم، مثل قولك: والذي يُحلف به.

(٣) قولُه: (وهو نظير قوله تعالىٰ) أي تقدير الآية : وإن استجارك أحد من المشركين فأجره، فتأخر العامل وتقدم الفاعل.

(٤) (وهما شعريان) يعني نجم الشعرىٰ، الشعرىٰ نجم، وهو اسمٌ يقع علىٰ الشعريان، الأول: العبور، كان ينبغي أن =

المجرّة[١]، والأخرىٰ الغميصاء. وكان الشعرىٰ العبور تطلع في شدة الحر. و(لؤاب) اليوم ولعابه: ما يرىٰ فيه عند الهاجرة متدليًا في الجو كخيوط الحرير، ونسج العنكبوت، وقد يضاف ذلك للشمس أيضًا، فيقال: لعاب الشمس كما قال أبو الطيب:

وأصدىٰ فلا أُبدي إلىٰ الماء حاجة ... وللشمس فوق اليَعْملات لعاب

وقال الآخر:

وذاب لؤاب الشمس فوق الجماجم ... وذلك بنسخه ولصقه

وواحد الـ(أفاعي): أفعىٰ بالتنوين، مصروف، وقد لا يصرف كنظائره وهي (أجدل) و(أخيل).

والـ(رمضاء): الأرض التي ترمض فيها أقدام من مشىٰ عليها لاشتداد حرِّها. **والتململ**: التقلُّب ظهرا لبطن من شدة الحر هنا، أو مِن شدة الوجع.

فقوله: (وَيَوْمٍ) مخفوض بـ(رب) المقدرة بعد الواو، وما بعده من الجمل وما في معناها صفات له، ومع ذلك فهو مرفوع المحل بالابتداء، خبره في قوله:

(نَصَبْتُ لَهُ وَجْهِي وَلَا كِنَّ دُونَهُ ... وَلَا سِتْرَ إِلَّا الْأَتْحَمِيُّ الْمُرَعْبَلُ)

الـ(كن) -بالكسر-: الستر والغطاء. و(الأتحمي): بردٌ منسوب إلىٰ أتحم علىٰ ما قيل، وهي بُليدة باليمن، وليس هذا في «القاموس». والذي فيه: أنه كالأتحمية[٢]، والمتحمة -كمكرمة ومعظمة- برد معلوم. وفيه أيضًا: تَحَمَ الثوب: وَشَّاه، والتاحم: الحائك. و(المرعبل): المنخرق.

والمعنىٰ: ورب يوم كائن من أيام الشعرىٰ، ذائب لعابه، فهو يسيل من شدة حره، متقلبة أفاعيه في أرضه الحامية من شدّة وَهج الشمس، نصبت وجهي لحره؛ أي: سرت فيه منكشف الوجه لشعاع الشمس ولا ستر كائن من دون وجهي يقيه من وقع الحرّ عليه، ولا غطاء إلا البرد المسمّىٰ بالأتحمي الذي تخرَّق وصار رعابيل؛ أي: قطعا، ثم عطف علىٰ (الأتحمي) قوله:

(وَضَافٍ إِذَا هَبَّتْ لَهُ الرِّيحُ طَيَّرَتْ ... لَبَائِدَ عَنْ أَعْطَافِهِ مَا تُرَجَّلُ)

يضع نقطتين بعد شعريان؛ لأنه سيفصلهما.

(١) يعني أن هذا النجم -نجم الشعرىٰ- اثنان:

أحدهما: العبور سمي عبورًا؛ لأنه عبر عرض السماء، ويقولون عبر نهر المجرة؛ يعني مجرة الكون.

والثاني: الغميصاء، وسمته العرب الغميصاء يقولون إنه بكىٰ حتىٰ أصابه الغمص علىٰ عبور صاحبه.

(٢) (والذي فيه أنه كالأتحمية)، صححوها. (والمتحمة كمكرمة ومعظمة).

الـ(ضافي): الشعر الكثير الطويل، **وهبوب** (الريح) له: إصابتها إياه عند هبوبها أي هيجانها. **وتطييره** البائدة -جمع لبيدة. بمعنىٰ ملبودة: ما تلبَّدَ من الشَّعر- رَفْعُها إياه عند الهبوب. والـ(أعطاف): الجوانب، واحدها عِطف بالكسر. **وترجيل** الشَّعر: تسريحه بالمشط بعد الأدهان.

والمعنىٰ: ولا ستر دون الوجه إلا الأتحمي المرعبل، وشعر طويل كثير، إذا هبت الريح منتهية إليه في هبوبها، رفعت ما تلبّد منه لعدم تسريحه وادّهانه، وبعد تفقده. وهذا معنىٰ قوله:

(بَعِيدٌ بِمَسِّ الدُّهْنِ وَالْفَلْيِ عَهْدُهُ لَهُ عَبَسٌ عَافٍ مِنَ الْغِسْلِ مُحْوِلُ)

فهو تذييل، أي مؤكد لمفهوم ما قبله.

قوله: (بَعِيد) فعيل، بمعنىٰ فاعل وهو خبر مقدم. و(عهدُه) مبتدأ مؤخر. ويصح أن ترفع (عهده) علىٰ أنه فاعل (بعيد) لاعتماده علىٰ المبتدأ المحذوف بناء علىٰ أنّ التقدير (هو بعيد)، ولا محل للجملة علىٰ التقديرين لأنها تذيلة. **وفلي الرأس**: استخراج قمله وصؤابه. والصؤاب -بزنة غراب-: بيض القمل، ويجمع علىٰ صئبان. والـ(عهد): أي التعهد، أي التفقد. والـ(عبس)- بالعين المهملة والتحريك-ما تعلق بأذناب الإبل من أوضارها، وما يبس علىٰ أفخاذها من ثلطها وأبوالها. والـ(عافي): المتروك علىٰ حاله حتىٰ عفىٰ: أي أكثر وطال من تراكم بعضه علىٰ بعض، وقد يشبَّه بالقرون كما قال أبو النجم:

كأن في أذنابهن الشُّوَّل من عَبَسِ الصَّيف قرون الأيِّل

و(الغِسل) بالكسر: الغسول الذي يغسل به الرأس، وهو الطَّفْل. وقيل: آسٌ طيب وماء[1].

والـ(مُحْوِل):

اسم الذي أحال: أي أتىٰ عليه حول من كل شيء.

قوله: (بِمَسِّ الدُّهْنِ) متعلق بـ(عَهْدُهُ) وإن كان في معنىٰ المصدر، أي: (تعهده) لأن الصحيح جواز تقدم معمول المصدر عليه إذا كان ظرفا أو جارًا ومجرورًا للاتساع في الظروف.

وقوله: (عَافٍ) يصح أن يكون وصفا لـ(عَبَسٌ) وعليه ما تقدم فهو حينئذ بمعنىٰ كثير. و(مِنَ الْغِسْلِ) يتعلق بـ(مُحْوِلُ) لتضمُّنه معنىٰ (مغفر)، ويصح أن يكون من أوصاف (ضَافٍ). و(مِنَ الْغِسْلِ) حينئذ يتعلق بـ(عَافٍ).

والمعنىٰ: هو-أي الشعر الضافي- بعيد تعهده: أي تفقده بمس الدهن، وباستخراج القمل وبيضه

(١) (الآس) شجر تعرفه العرب، كانوا يتخذون من ورقه الطِّيب، ويغتسلون به.

منه، له من أجل ذلك وسخٌ وودحٌ لَبَّدَ شعره لكثرته وتوفُّره. أو هو-أي: الضَّافي عاف: أي دارس من الطفل والخَطْمي أتىٰ عليه عام من عهده بما ذكر من الترجيل والغسل والفلي.

(وَخَرْقٍ كَظَهْرِ التُّرْسِ قَفْرٍ قَطَعْتُهُ بِعَامِلَتَيْنِ ظَهْرُهُ لَيْسَ يُعْمَلُ)

الـ(خَرْق)-بفتح الخاء المعجمة-المكان الذي تخترقه الرِّياح لإقفاره مما يستر الرياح من بناء وشجر. و(التُّرس): المِجَن الذي يتقىٰ به في الحرب من الطعن والضرب. **وقطع القفر**: الخروج منه، وتخليفه وراء الظهر بالسَّير، **والعاملتان** هنا: قيل: الرِّجْلان، وكان الشَّنْفَرَىٰ -كخاله تأبط شرا - يعدو علىٰ رجليه، وهكذا شأن لصوص العرب. و(يعمل) بالبناء للمفعول، أي: لا يعمل فيه بالحرث والغرس لكونه لا ينبت.

قوله: (وَخَرْقٍ) مخفوض لفظًا بـ(رُبَّ) المحذوفة، مرفوع محلًّا بالابتداء، و(كَظَهْرِ التُّرْسِ) و(قَفْرٍ) من أوصاف الخرق، وقوله: (قَطَعْتُهُ) خبره، وجملة (ظَهْرُهُ لَيْسَ يُعْمَلُ) من أوصاف الخرق تضمّنت الاحتراس مما عسىٰ أن يتوهم من كونه يصح إعماله، ويتأتىٰ، والأولىٰ أن هذا إيغال مفيدا لنكتة يتم أصل المعنىٰ بدونها.

وأصل المعنىٰ هنا قطع المفازة الخالية التي تشبه ظهر الترس برجليه وهو تام لا يتوقف علىٰ ما ختم به البيت الذي أفاد أن المفازة لا يتمكن فيها البقاء لكونها غير معمولة لعدم صلاحها لذلك، فليس فيها من ساكن لأجل ذلك.

ووجه الشبه بين الخرق والترس قيل: الاستواء، والأوْلىٰ إن شاء الله كثرة مساربه التي يتحير فيها السالك، وتحمّله علىٰ الضلال ككثرة آثار ظهر الترس بالضرب والطعن واختلافها وتفاوتها.

(فَأَلْحَقْتُ أُولَاهُ بِأُخْرَاهُ مُوفِيًا عَلَىٰ قُنَّةٍ أُقْعِي مِرَارًا وَأَمْثُلُ)

الضميران للخرق. وإلحاق الشيء بغيره: جعله لاحقًا به، وإلحاق أولىٰ الخرق بأخراه كناية عن قطعه بالسير، وجوازه إلىٰ غيره. والموفي: الذي أوفىٰ: أي أشرف والـ(قنة): رأس الجبل الأعلىٰ. والإقعاء بالنسبة للإنسان: جلوسه علىٰ أليتيه، ناصبا فخذيه كأنه مُتَسَانِدٌ إلىٰ ما وراءه. **وإقعاء الكلب**: جلوسه علىٰ أليتيه مفترشًا رجليه، ناصبا يديه. ومَثَل يَمْثِل -بكسر المضارع-انتصب قائما.

قوله: (فَأَلْحَقْتُ) الفاء للترتيب الذكري، لأن إلحاق أولىٰ الخرق بأخراه نفس قطعه لا غيره، رتب عليه، وعطْفه عليه لتفصيله إجمال القطع، لأن في إلحاق الأولىٰ بالأخرىٰ تنصيصا علىٰ أنه استوعب بالسير، ولم يترك منه شيئا، والقطع له محتمل لغير ذلك من الاقتصار علىٰ معظمه مثلا، والله سبحانه

أعلم.

ومعنىٰ أنه فعل ما ذكر من إلحاق إحدىٰ الغايتين بالأخرىٰ في حال كونه مشرفا علىٰ رأس جبل، ربيئة[١]، وفي حال كونه يجلس علىٰ أليتيه مرارا، وينتصب مرارا أخرىٰ، قائما يقعي إذا خاف أن يفطن له ويعلم بمكانه، وينتصب إذا أمن من ذلك ليشرف علىٰ من تحته ليرصده للغارة، إن أمكنته فرصة انتهزها. ومن جملة أحواله في إشرافه علىٰ القنة ما قرره بقوله:

(تَرُودُ الْأَرَاوِي الصُّحْمُ حَوْلِي كَأَنَّهَا عَذَارَىٰ عَلَيْهِنَّ الْمُلَاءُ الْمُذَيَّلُ)

(تَرُودُ): أي تجيء وتذهب، وتقبل وتدبر في طلب ما تأكله. وواحد (الْأَرَاوِي): أروية وهي الشياه الجبلية. والـ(مُلاء): اسم جمع، وهي الريطة والملحفة. و(المُذيل): المُطال. و(الصُّحْمُ): جمع أصحم وصمحاء: وهو ما في لونه صحمة -بضم الصاد- أي صفرة تضرب إلىٰ السواد.

والمعنىٰ: إن إيفاءه علىٰ القنة كما كان في حال إقعائه مرة ومثوله أخرىٰ، كان أيضًا في حال رود شياه الجبل الصحم حوله.

والمقصود أنه ارتقىٰ إلىٰ موضع من الجبل ليس فيه إلا الأرويَّة[٢] فهي تجي وتذهب، غير مكترثة به لأمنها من أن تؤتىٰ هنالك بمكروه، أو لأنها ألفته وأنست به فهي لذلك لا تنفر منه، وقد شبهها في حالة رودها حوله-بالأبكار اللائي لبست الملاحف المذيلة.

ويدلُّ لما قلن له آنفًا من أن ترددها حوله سببه الإلف والأُنس قوله:

(وَيَرْكُدْنَ بِالْآصَالِ حَوْلِي كَأَنَّنِي مِنَ الْعُصْمِ أَدْفَىٰ يَنْتَحِي الْكِيحَ أَعْقَلُ)

فإنه صريح في ذلك. **وركود الأُرويّة**: ربوضها، أي بروكها ساكنة. و(الآصال): جمع أصيل: وهو العشي. و(العُصم)، جمع أعصم، وعصماء: وهو ما في معاصمه بياض من الوعول والظباء. والـ(أدفىٰ) الذي طال قرناه وانعطفا إلىٰ ظهره حتىٰ كادا يمسان عجزه. والـ(أعقل): الذي تدانت رجلاه، والانتحاء: القصد. والكيح -بالكاف المكسورة فالياء فالحاء المهملة- : سفح الجبل وسنده.

فقوله: (كَأَنَّنِي مِنَ الْعُصْمِ) في محلِّ نصب علىٰ الحال من الياء في (حَوْلِي). و(مِنَ الْعُصْمِ) حال من (أَدْفَىٰ) ، وهو في الأصل نعتٌ له، فلما قُدّم عيه انتصب علىٰ الحال كغيره من نعوت النَّكرة المتقدِّم

---

(١) قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (مشرفا علىٰ رأس جبل ربيئةً) الربيئة هو طليعة القوم؛ فكأنه بمنزلة المتقدم المتخفي ليطّلع علىٰ ما يتقدم الجيش.

(٢) (إلا الأُرْوِيَّة)، تشديد الياء، ضم الهمزة، سكون الراء، تشديد الياء. الأرويّة.

عليها. وأعقل و(يَنْتَحِي الْكِيحَ) نعتان لـ(أَدْفَىٰ).

والمعنىٰ: أن الأروية -من فرط أنسهن بي- يرقدن فيما قرب مني عند العشي حتىٰ أشبهتُ بمخالطتهن لي، وعدم استيحاشهن بمكاني، وعلا طال قرناه، وانعطفا إلىٰ ناحية إليتيه في حال كونه من الأروية التي ابيضت معاصمها موصوفا بتداني الرِّجلين، ويقصد سفح الجبل.

جعله الله إليه قصدنا، وحصر في قصده مقاصدنا، آمين.

والحمد لله أجل مقصود، وأعظم محمود، علىٰ تمام ما قصدناه من شرح «لامية العرب»، والشكر له علىٰ ما يسّر لنا من ذلك وسناه، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ أفصح العرب قاطبة، سيدنا محمد، الذي فصاحة كل فصيح من فصاحته راهبة، وعلىٰ آله وأصحابه المقتبسين من فصاحته ما امتطوا إليه سنام البيان وغاربه.

ووافق تمام تبيضه عشية الخميس لليالٍ خلت من ربيع النبوي سنة اثنتي عشرة ومائة وألف.

وكتب مؤلفه محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد بن زاكور. (١)

(١) وهذا آخر التقرير علىٰ هذا الكتاب، وبالله التوفيق، الحمد لله ربِّ العالمين.